



الملاحح

الفنية والجمالية

في

أدبيات الإمام

الشهيد

حسن البنا



إهداء

إلى الذين قالوا: ربنا الله ثم
استقاموا، وعلى الحق
أقاموا، فمنهم من قضى
نحوه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلاً.

إيهم بصدق وحق...

أهدي هذه الكلمات...

الدكتور هبة رجب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله أجمعين.

أما بعد:

فقد ظهر الإمام الشهيد حسن البنا، وأسس جماعة الإخوان المسلمين في وقت كانت مصر فيه في أشد الحاجات لمثله، إذ كانت مستعبدة استعباداً شمولياً: فالاستعمار الإنجليزي يضرب أطنابه في أرض الوطن، ويبعث بمقدراته، ويستنزف خيراته، ويتخذ من مصر قاعدة عسكرية لمواجهة أعدائه.

والنظام الملكي لا يرفع مصالح الشعب، فكل همه أن يثبت قواعد حكمه ونفوذ، مع تبعيته للسيد المستعمر، يأتمر بأمره، ويرضخ لإرادته.

والتبشير بدأ يخترق الطبقات الفقيرة، مستغلاً حاجتها للطعام واللباس وضرورات المعاش، وذلك لتسلخ من دينها.. الإسلام الحنيف.

وحركات التغريب تفرض سيطرتها وهيمنتها على نظام التعليم، وتغير العادات والطابع الأصيلة لشعبنا المصري الذي بدأ يشعر بالإحباط، والفرغ النفسي والعقدي بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك، صنيعه اليهود والملاحدة.

ومن ثم كان ظهور الإمام الشهيد بدعوة الإخوان يعني ظهور الرجل المناسب في الزمن المناسب.

لقد بدأت دعوة الإخوان على يديه "جمعية"، ثم امتدت امتدادها المبارك، فصارت "جماعة".. إلى أن تحولت إلى "تيار".. تيار له مكانه ومكانته في كل أنحاء العالم غربية وشرقية.

وأرى أن الأستاذ يوسف ندا لم يبالغ حينما صرح - في أحد البرامج بقناة فضائية - بأن عدد الإخوان في شتى بقاع العالم لا يقل عن مئة مليون، وهو رقم لم تبلغه حركه دينية أو سياسية في تاريخ البشرية.

وما خطر لي طيف الإمام الشهيد أو ذكره إلا وبادر إلى ذهني قول الشاعر:

كان من نفسه الكبيرة في جيد ش وإن خيل أنه إنسان

وقول الشاعر الآخر:

وليس على الله بمسئوكثير أن يجمع العالم في واحد

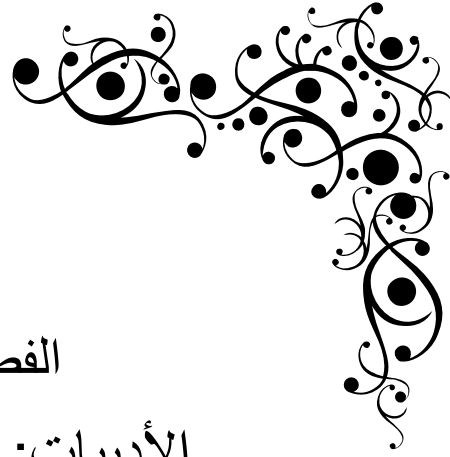
فقد كان الإمام الشهيد عبقرياً عظيماً، وجوانب العظمة في شخصيته متعددة، حتى ليكفي الرجل أن يتصف بجانب واحد منها ليُشهد له بالعظمة والتفوق.

كان الإمام الشهيد موسوعي العبقرية، موسوعي العظمة، موسوعي الفكر، فهو العالم.. الفقيه.. الداعية.. الخطيب.. الكاتب.. الناقد.. السياسي.. المربي..

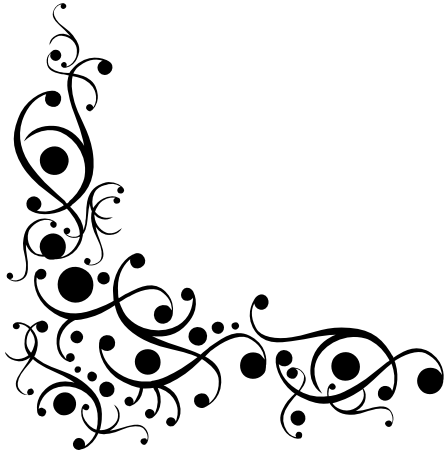
ومع ذلك، رأينا كل من كتب عن الإمام الشهيد صرفوا جهودهم في معالجة هذه الجوانب في عشرات من الكتب، دون النظر إلى الملامح الفنية الجمالية فيما كتب، وفيما قال.

وقد يكون إغفال هذا الجانب هو الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث المتواضع عن "الطوابع واللامح الفنية في أدبيات الإمام الشهيد".

â â â



الفصل الأول
الأدبيات: الأبعاد والمنهج



مفهوم الأدبيات والملاح

وأدبيات الإمام الشهيد تعني العطاء الفكري والعقدي الذي قدمه للمسلمين شفاهة، أو كتابة، من خطب، ومحاضرات، ومحاوَرات، ومقالات، وكتب، ورسائل عامة وخاصة.

ويصعب على مثلي استقراء كل ما كتب من مقالات، والنظر في كل ما قدمه من خطب، ولكن قد يكون المكتوب ترجمة "للمنطوق"، كما نجد في بعض رسائله، وهي خطب صيغت كتابة، كرسالة "إلى الشباب"، ورسالة "المؤتمر الخامس"، ورسالة "المؤتمر السادس"، وغيرها.

ونقصد بالملاح والطوابع الفنية: السمات الأسلوبية والتصويرية والوجدانية، وطبيعة الأداء التعبيري في هذا العطاء الغني الثرّار. ومن البدهي أن من أهم هذه الملاح منهج - أو مناهج - معالجة هذه الأدبيات وعرضها.

وأهم أجناس هذه الأدبيات: الخطبة، والمقالة، والترجمة الذاتية، والرسالة، والقصة. ونحاول في الصفحات الآتية أن نقف - في إيجاز - أمام كل جنس من هذه الأجناس، ومنهج الإمام في عرضه ومعالجته.

â â â

أولاً: الخطابة

الخطابة: هي فن مشافهة الجماهير الذي يقوم على الإقناع والاستمالة. أو كما عرفها بعض النقاد: هي فن أدبي نثري، هدفه إقناع السامعين، فهو إلقاءي، يكتب أو يرتجل ليسمع، لا يُقرأ^(١).

وكانت الخطابة هي الآلية الأولى التي اتخذها الإمام الشهيد لدعوته، ونشرها في كل الأوساط، واستطاع الإمام الشهيد أن يجعل لهذا الفن وجوداً، وكياناً قوياً بالغ التأثير.

وسلك دعاة الإخوان السبيل نفسها في اتخاذ الخطابة أهم الآليات في نشر الدعوة، والدفاع عنها، يستوي في ذلك الخطب الجماهيرية العامة والمحاضرات الدعوية والأكاديمية، والحوار، والمناقشة، والمجادلة.

واختيار هذه الآلية إنما هو اتباع لمنهج النبي (ﷺ)، واستصحاب لهذا الأصل الكريم من ناحية، واعتراف بالواقع الاجتماعي والسياسي والديني بالنسبة لمصلحة الدعوة من ناحية أخرى. وهو واقع يتأثر بالكلمة المسموعة أكثر من الكلمة المكتوبة. ولأمر ما كان فعل الأمر "قل" هو أكثر الأفعال وروداً في القرآن الكريم.

كما أن الخطابة أيسر تناولاً واستخداماً من الشعر والمقال، فهي تتطرق بلا قيود صارمة، وضوابط حادة من وزن وقافية.

وفي حقل الدعوة الإخوانية آلاف الخطباء من العلماء والطلاب والأكاديميين، وكثير منهم تمرسوا بالخطابة وتدرّبوا عليها من أيام أن كانوا في حقل الدعوة أشبالاً، وكذلك منخرطين في الأسر.

(١) محمد سعيد أسبر، وبلال جنيدي: الشامل ٤٧٦ (دار الدعوة - بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م).

وفي تعريف الخطبة وأجزائها وأنواعها: ارجع إلى مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، وخصوصاً الصفحات ٣٧١، ٢٠٥، ٥٣١ (مكتبة لبنان، ١٩٧٤م).

وعن طوابع الإمام ومنهجه في خطبه يقول واحد من تلاميذه وهو محمد نبييب البوهي^(١): إنه كان (ﷺ) يزور شعب الإخوان جميعاً مرة واحدة على الأقل - كل عام - ويخطب فيهم، ولكن كان له خطبة موسمية تأتي في حينها من الأعياد الإسلامية كالإسراء والمعراج، وغزوة بدر، وليلة القدر، وما إلى ذلك، ويُخَيَّلُ إليك حين تصاحبه، وتذهب معه في المدن والقرى في المناسبة الواحدة أنك ستسمع الخطبة نفسها في كل حفل، ولا بأس في ذلك.

ولكن حكمته وبراعته كانتا تخلعان على الموضوع الواحد في كل حفل ثوباً جديداً، حتى لتود أن تسمع الموضوع نفسه عشرات المرات، في عشرات الجهات، فستجد مع الموضوع صورة من الإمام المركز لخلاصة مشكلات المنطقة التي أقيم فيها الحفل، وكيف تستخلص حلولها من أمثال هذه المناسبة.

ولما كانت الأماكن تختلف، والمشكلات تختلف، فسترى وتحس ألواناً رائعة تتوالى في فن وقدرة عجيبين على الموضوع الواحد. وفي كل مرة كان يتكلم ثلاث ساعات، أو أربعاً، دون أن تجد كلمة واحدة سبقت أختها، أو انحرفت عن الموضوع المناسب بالذات لهذه المناسبة، في هذا المكان.

وكان لا يبدأ حديثه حتى يعالج روح الحفل بتوحيد المشاعر والأحاسيس في جو من الانسجام العاطفي والتوافق الروحي.

وأحاديثه تبدأ أولاً بالتحية، والإشادة بعاطفة المحبة الخالصة بين بني الإنسان جميعاً. ويذكر الناس بأن هذا الحفل هو نوع من العبادة.. فمجالس العلم تحضرها الملائكة، وتباركها. ويفيض الإمام في هذا ويضرب الأمثال.

ومن عينيه ينبعث بريق الحب الخالص، المصفى حتى للجماذ، وتكاد تحس هذا الحب مجسداً يسعى بين يديه.

(١) الإيمان والرجل: ٥١-٥٧.

ومن هذا الإشعاع الروحي العلوي الموفق يجمع إليه في خيط الحب الأبصار والأسماع، والأفئدة والقلوب، وينسى الناس أنفسهم، وينسون الوقت والمكان، ويهيمنون معه في عالم الروح.

ويشعرون من ذلك بنشوة عليا هي فيض من بركات الاجتماع - كما كان يقول. وبأسلوب سهل واضح متدفق يمضي الإمام معالجاً موضوع خطبته، وقد قسمه في ذهنه إلى عدة مواقف ومقاطع مرتبة في عبقرية وإلهام، لا يبدأ موقف إلا من حيث انتهى الآخر دون أن يشعر السامع بخطوات الانتقال.

ومن أهم ملامح خطبه

١- تأكيد المعاني المهمة، والعودة إليها، والوقوف عندها لاستخلاص الدروس والعظات المنشودة.

٢- الربط بين الماضي والحاضر لتأصيل ما يدعو إليه.

٣- الإكثار من التشبيهات وضرب الأمثال التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بالموضوع.

٤- الإكثار من الشواهد القرآنية والسنة النبوية وسلوك السلف الصالح.

٥- فتح باب الأمل أمام سامعيه حتى العصاة منهم. يقول محمد لبيب البوهي:

"لم يعرف عنه أنه هَوَّنَ من شأن سامعيه: كان أولاً يصور لهم في صورة رائعة بطولات أسلافهم وأمجادهم، ثم يؤكد لهم أنهم مثلهم، وأن لهم المجد نفسه لو ساروا في الطريق نفسه، ثم يذهب يكشف لهم عن معالم هذا الطريق. فتدب في النفوس قوى من العزم الحديدي.. كان ينفخ في سامعيه من روح العزة الإسلامية. ولعل هذا هو سر الهتاف القوي الموجه الذي ينبعث من الجموع يُرْجُ الفُضاء في أعقاب خطبه"^(١).

(١) البوهي: الإيمان والرجل: ٥٦.

وما سبق يعرض صورة موضوعية فنية للإمام الشهيد في خطبه. عرضها بإيجاز واحد من تلاميذه عرفه عن كذب، بل عاشه، وعاش دعوته، وعرف بقدرته القلمية في كتابة المقال، وتأليف الكتب. وكذلك في القصص والروايات، ويتمتع بقدرة فنية على العرض والتصوير.

â â â

ثانياً: الترجمة

يقصد بالترجمة - في إيجاز شديد - عرض حياة الشخصية. مع ملاحظة تنوع مناهج هذا العرض، وهي نوعان:

(١) الترجمة الذاتية أو الشخصية "AUTOBIOGRAPHX"

وهي التي تتناول حياة الكاتب نفسه بقلمه، ويكشف بها عن ملامحه، وسيرورة هذه الحياة.

ويذهب بعض النقاد المحدثين إلى أن الترجمة الذاتية الفنية ليست هي التي يكتبها صاحبها على شكل "مذكرات" يُعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي.

وليست هي التي تكتب على صورة "ذكريات" يُعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته. وليست هي المكتوبة على شكل "يوميات" تبدو فيها الأحداث على نحو غير رتيب، وليست في آخر الأمر "اعترافات" يخرج فيها صاحبها على نهج الاعتراف الصحيح، وليست هي "الرواية الفنية" التي تعتمد في أحداثها ومواقفها على الحياة الخاصة لكاتبها.

فكل هذه الأشكال فيها ملامح الترجمة الذاتية، وليست هي؛ لأنها تفتقر إلى كثير من الأسس التي تعتمد عليها الترجمة الذاتية الفنية^(١).

(١) د. يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي ص ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

ولكن هذا الرأي - أو هذا التنظير - لا يخلو من التشدد، بل من الإجحاف والاعتساف، فمن حق كاتب الترجمة الذاتية أن يتخذ لها الشكل أو القالب الذي يراه ملائماً، فيكتب ترجمته في شكل حكاوي، أو في شكل مذكرات أو اعترافات.

- والناقد نفسه (الدكتور يحيى إبراهيم) قد اعتبر "اعترافات القديس أوغسطين" أشهر التراجم الذاتية في العصور الوسطى، وهي تمثل في رأيه قمة الاعترافات، وقد حذا حذوها من كتب بعده.^(١)

- واهتمام كاتب الترجمة الذاتية بالأحداث العامة، وتيارات البيئة لا يضعف من بناء الترجمة الذاتية.. فهذا الاهتمام يمثل بصدق مدى إحساس الكاتب بالجو الذي يعيش فيه، واستجابته له، أو تمرده عليه، أي يمثل موقفه من عصره بيئة وزمناً.

ومن يستطيع أن ينكر تلك الترجمة الذاتية التي سجلها أسامة بن منقذ في كتابه "الاعتبار"، وهي مذكرات بديعة تصور لنا الفروسية العربية زمن الصليبيين، كما تصور حياة المسلمين لعصره، وحياة الصليبيين، وهو تصوير أمين دقيق.^(٢)

ويتحدث أسامة عن أعدائه وأعداء المسلمين بروح الإنصاف والعدل، فيذكر ما لهم وما عليهم.^(٣)

- واعترفات "جان جاك روسو" تعتبر من أشهر التراجم الذاتية، مع أن حظ البيئة والمجتمع ورجال الدين والكنيسة حظ وافر في كل صفحات هذه الاعترافات.

(١) يحيى إبراهيم: السابق: ص ١٣.

(٢) د. شوقي ضيف: الترجمة الشخصية ص ٩٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.

(٣) انظر ليوسف الشاروني مقالاً، بعنوان "كتاب الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه"، مجلة العربي الكويتية، مارس ١٩٦٠م.

- وفكرة "الواقع الذاتي" التي ألمح إليها الكاتب بهذا التحديد الانعزالي الحاد لا وجود لها إلا في الخيال: فالكاتب لا يمكن أن يصور ملامحه الذاتية، وخصائصه النفسية والعقلية والخلقية وقيمه التي يؤمن بها إلا في ظل البيئة التي يمثل هو نقطة سابحة في سمائها، أو نبتة ناجمة في أرضها، وخصوصاً إذا كانت أحداث عصره من الوقائع المتوهجة الكبيرة التي غيرت مجرى التاريخ أو تركت بصماتها غائرة على صفحته.

- وليس المهم في الترجمة الذاتية أي الجانبين أغلب: تصوير الذات أم تصوير الأحداث والتيارات الاجتماعية وما شابهها، بل المهم أن يحدد الكاتب مكانه في زحمة هذه الأحداث، وتلك التيارات، ومدى تفاعله معها إقبالاً واستجابة وانسجاماً، أو معارضة وتمرداً، بحيث تكون شخصيته هي نقطة الارتكاز، ثم لا يقاس حظ كاتب الترجمة وحظ البيئة قياساً كمياً. بل ليُبحث في الترجمة عن الأبعاد والأعماق، ومدى إحساس الكاتب وصدقه فيما كتب.

(٢) الترجمة الغيرية "BIOGRAPHY"

وإذا كانت الترجمة الذاتية تمثل تاريخ كاتبها، فإن الترجمة الغيرية تصوير لتاريخ الآخرين. وقد عرفها بعض الكتّاب - في صورتها المثلى - بأنها: "البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، والكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله"^(١).

والتعريف السابق قد يمثل المناهج الحديثة في كتابة التراجم الغيرية، أو بعضها على الأقل، ولكنه لا يتسع للمنهج التقليدي القديم في كتابة الترجمة الغيرية، وأعني به

(١) د. حسين فوزي النجار: التاريخ والسيرص ١٤، دار القلم، القاهرة ١٩٦٤م.

"المنهج السردي"، وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على مجرد رصد الحقائق والأخبار عن المُترجم له، دون البحث في الدلالات النفسية والعقلية، والخلقية، والاجتماعية لها.

فالمرجع هنا بمقام الجامع الراصد دون تدخل منه في الغالب^(١).

والذي يهمننا في دراستنا هذه النوع الأول من التراجم، أي الترجمة الذاتية؛ لأن كتاب الإمام الشهيد "مذكرات الدعوة والداعية" ينتسب في رأينا إلى هذا النوع بالمقاييس التي ذكرناها آنفاً.

وفي الصفحات الآتية نعرض في إيجاز طبيعة التوجه الموضوعي وملاحم المنهج في هذا الكتاب:

مذكرات الدعوة والداعية

كتب أبو الحسن الندوي في تقديمه لهذا الكتاب: "ألفيته كتاباً أساسياً، ومفتاحاً رئيسياً لفهم دعوة الإمام الشهيد وشخصيته، وفيه يجد القارئ منابع قوته، ومصادر عظمته، وأسباب نجاحه واستحوازه على النفوس، وهي: سلامة الفطرة، وصفاء النفس، وإشراق الروح، والغيرة على الدين، والتحرك للإسلام، والتوجع من استئثار الفساد، والاتصال الوثيق بالله تعالى، والحرص على العبادة، وشحن بطارية القلب" بالذكر والدعاء والاستغفار، والخلوة في الأسحار، والاتصال المباشر بالشعب وعمامة الناس في مواضع اجتماعهم، ومراكز شغلهم وهوايتهم، والتدرج، ومراعاة الحكمة في الدعوة، والتربية، والنشاط الدائم، والعمل الدائب. وهذه الخلال كلها هي أركان دعوة إسلامية ربانية، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث في المجتمع ثورة إصلاحية بِنَاءً، وتغير مجرى الحوادث والتاريخ.."^(٢).

(١) في أهم الفروق بين نوعي الترجمة، ارجع إلى كتاب د. إحسان عباس: فن السيرة، ص ١١٠، دار الثقافة، بيروت، ط٢.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٠، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

وفي هذا الجزء من التقديم صورة نفسية مركزة للإمام الشهيد، والصلة الوثيقة بين شخصية الداعي وطبيعة الدعوة الإسلامية.

ومن عجب أن نرى الإمام الشهيد في صدر تقديمه يوصي الذين يعرضون للعمل العام، ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة. وهو يطرح هذا التوجيه بعد أن عثرت النيابة على مذكراته الخاصة سنة ١٩٤٣م، وقد لقي من المحقق عنثاً وإرهاقاً في غير جدوى ولا طائل ولا موجب إلا تحميل الألفاظ غير ما تحمل، واستتباط النتائج التي لا تؤدي إليها المقدمات، بحجة أن هذه هي مهمة النيابة العمومية بوصفها سلطة اتهام^(١).

وقد ضاعت معظم هذه المذكرات المكتوبة. فأعاد كتابة مذكراته التي بين أيدينا اعتماداً على الذاكرة، وقد رأينا أنه كان يتمتع بقوة في الحفظ نادرة الشبيه.

وفي هذه الترجمة الذاتية تتعدد المحاور وصور التلاحم بين العناصر الموضوعية الآتية:

١- التصوير الذاتي، وعرض مشاعره ورؤيته الخاصة للوقائع والأحداث والشخصيات.

٢- مسيرة الدعوة من بدايتها في الإسماعيلية والانتقال إلى القاهرة، ونشرها في عدد كبير من المدن والقرى المصرية، وجهود رجالها، وما تعرضوا له من مؤامرات ومحن.

٣- موقف الإخوان من الأحداث، ومن قضية فلسطين وقضايا العالم الإسلامي.

٤- عرض نظام الجماعة، ومجالسها، ولوائجها، ووجوه نشاطها الدعوي، والثقافي، والتربوي.

(١) انظر المذكرات: ١٣.

وفي كل المواقف والأحداث والوقائع يرى القارئ للإمام الشهيد حضوراً قوياً، ومعايشة صادقة، يستوي في ذلك ما كبر منها وما صغر.

وفي ما يزيد على ثلاث مئة صفحة، يعرض الإمام الشهيد الأحداث بطريقة عفوية مرسلة، ابتداءً من التحاقه بمدرسة الرشاد الدينية، وقد استغرقت هذه الفترة من عمره من الثامنة إلى الثانية عشرة، وبعدها التحاقه بالمدرسة الإعدادية، ثم مدرسة المعلمين الأولية بدمهور، واندماجه في الطريقة الحصافية، واشتراكه في الحركة الوطنية سنة ١٩١٩م.

ثم التحاقه بدار العلوم، وتخرجه فيها سنة ١٩٢٧م، وتعيينه مدرساً في الإسماعيلية. وتكوينه أول شعبة للإخوان من ستة أشخاص.

وبعدها اتسعت جهود الإمام الشهيد، وبارك الله قدرته في نشر الدعوة في الإسماعيلية، وخارجها مثل: أبو صير، وبورسعيد، ومدن البحر الصغير.

وبعد مجهودات صادقة في نشر الدعوة، انتقل الإمام إلى القاهرة، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوة قبل الحرب العالمية الثانية.

وفي تفصيل مطرد يعرض الإمام أنواع نشاط الإخوان في هذه الفترة التي استغرقت سبع سنين، وانتظم الأنواع الآتية:

- ١- المحاضرات والدروس في الدور والمساجد، وتأسيس درس الثلاثاء.
- ٢- إصدار رسالة المرشد العام (عديدين فقط)، ثم مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية أولاً وثانياً، وفي أثناء ذلك مجلة النذير لسنتين من أول عهدها.
- ٣- إصدار عدد من الرسائل والنشرات.
- ٤- إنشاء الشعب في القاهرة، وزيادة شعب الأقاليم، ونشر الشعب في الخارج.
- ٥- تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية.
- ٦- تركيز الدعوة في الجامعة والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب، والانتفاع بجهود الأزهر الشريف: علمائه وطلابه.

- ٧- إقامة عدة مؤتمرات دورية للإخوان في القاهرة والأقاليم.
- ٨- المساهمة في إحياء الاحتفالات الإسلامية، والذكرات المجيدة في القاهرة والأقاليم كذلك.
- ٩- المساهمة في مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية، وبخاصة قضية فلسطين.
- ١٠- تناول الناحية الإصلاحية السياسية والاجتماعية بالبيان والإيضاح والتوجيه، وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص.
- ١١- المساهمة في الحركات الإسلامية، كحركة مقاومة التبشير، وحركة تشجيع التعليم الديني.
- ١٢- مهاجمة الحكومات المقصرة إسلامياً، ومهاجمة الحزبية والدعوة - في وضوح - إلى المنهاج الإسلامي، وتأليف اللجان لدراسات فنية في هذه النواحي^(١).
- وقد أخذ الإخوان أنفسهم عملياً بهذا التخطيط، وخصوصاً ما عرضه الإمام من جهود الإخوان في منطقتي المنزلة وبورسعيد في مقاومة التبشير^(٢).
- وعرض الإمام نص العريضة التي رفعها مجلس الشورى العام للإخوان إلى الملك فؤاد لحماية الشعب من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه، وقلذات كبده، بتكفيرهم وتشريدهم، وإخفائهم، وتزويجهم من غير أبناء دينهم...^(٣).

(١) المذكرات: ١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر المذكرات: ١٩٦ - ٢٠١.

(٣) انظر نص العريضة في المذكرات: ٢٠٣ - ٢٠٤. وهي مرفوعة من مجلس الشورى المجتمع بمدينة الإسماعيلية بتاريخ ٢٢ من صفر ١٣٥٢هـ. والمجلس يمثل خمسة عشر فرعاً من فروع جمعية الإخوان المسلمين.

ويعرض الإمام النظام الإداري للجماعة، ونشاط الإخوان في الجامعة والمدارس العليا. ونماذج من مؤتمرات الإخوان في الأقاليم، ونموذجاً من اجتماعات الجمعية العمومية للإخوان في الأقاليم. وقرارات مكتب الإرشاد ونظامه، وموقف الإخوان من الآخرين. وعرض الإمام لجهود الإخوان لنشر الدعوة في الأقطار الشقيقة، وزيارة مجموعة من الإخوان دمشق وبيروت.

ولأول مرة نقرأ في المذكرات تاريخاً يومياً (يوميات) لزيارة الإمام للصعيد سنة ١٣٥٤م^(١).

وصور الإمام موقف الإخوان من قضية فلسطين، وكثيراً من لوائح الإخوان وتنظيماتهم المالية والإدارية. ومظاهر النشاط الأسبوعي والرحلات، ومعسكرات الصيف.

وعرض نص المذكرة الطويلة التي رفعها إلى رئيس الحكومة عليّ ماهر باشا في شعبان ١٣٥٨هـ / أكتوبر ١٩٣٩م (أي بعد قيام الحرب العالمية الثانية بأيام)، شارحاً رأي الإخوان في موقف مصر الدولي، ورأيهم في الإصلاح الداخلي^(٢).

وقد رأينا أن الإمام الشهيد - وهو مرشد جماعة، وحامل رسالة - يعطي اهتماماً كبيراً للوقائع والأمور العامة، ومسيرة الجماعة ونظامها، ومواقفها من الحكام والقضايا. وهو خط يمثل محوراً أو جزءاً من المنهج.

ولكن هذا الاهتمام لم يكن على حساب عرض الوقائع الخاصة، والرؤى الذاتية. ومن هذه الوقائع واقعة الرؤيا الصالحة التي رآها ليلة امتحان النحو والصرف^(٣).

(١) المذكرات: ص ٢٧٥.

(٢) انظر المذكرات: ص ٣٥٠ - ٣٥٨.

(٣) المذكرات: ص ٥١.

وحادثة زميله في الدراسة والسكن، وقد كان يحقد عليه لتفوقه في الدراسة، مما دفعه إلى أن يصب على وجهه وعنقه وهو نائم زجاجة من صبغة اليود المركزة، ولكن الله مكنه من التغلب على الأخطار بغسل الوجه^(١).

ويتحدث عن صداقته لأحمد السكري، وفتح دكاناً لتصليح الساعات في مدينة المحمودية في العطلة الصيفية، والهدف الأساسي من ذلك هو قضاء العطلة مع صديقه الحميم أحمد السكري. وأثناء ذلك كان - كما قال - يجد سعادتين في هذه الحياة: سعادة الاعتماد على النفس والكسب من عمل اليد، وسعادة الاجتماع بالأخ أحمد أفندي (السكري) وقضاء الوقت معه ومع (الطريقة) الحصافية، وقضاء ليالي هذه الإجازة معهم يذكرون الله، ويتذكرون العلم في المسجد تارة، وفي المنازل تارة، وفي الخلوات بظاهر البلد تارة أخرى^(٢).

ويقدم صورة طريفة للمنزل الذي استأجر دوره العلوي وبعض زملائه في الإسماعيلية، واستأجر دوره الأوسط مجتمعاً لمجموعة من المسيحيين، اتخذوا منه نادياً وكنيسة، ودوره الأسفل مجتمعاً لمجموعة من اليهود، اتخذوا منه نادياً وكنيسة، وكان مع زملائه يقيمون الصلاة، ويتخذون هذا المسكن مصلى، فكأنما كان هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة^(٣).

وفي تضاعيف المذكرات نلتقي كثيراً من آراء الإمام الشهيد ونظراته الخاصة البناء في شتى الأوضاع والمجالات، مثال ذلك ما كتبه عن آليات نهضة الأمة ومرتكزاتها، وأهمها "التربية"، فترى الأمة أولاً، وتفهم حقوقها تماماً، وتتعلم الوسائل

(١) المذكرات: ص ٥٥، ٥٦.

(٢) المذكرات: ص ٥٧، ٥٨.

(٣) المذكرات: ص ٩٢، ٩٣.

التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويبث في نفسها هذا الإيمان بقوة..
أي تدرس منهاج نهضتها درساً نظرياً وعملياً وروحياً^(١).

كما يرى أنه لا نهوض لأمة بغير خلق، فإذا استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهاد والتضحية، وكبح جماح النفوس والشهوات أمكنها أن تنجح، بمعنى أن الأمة إذا استطاعت أن تتحرر من قيود المطالب النفسية، والكمالات الحيوية أمكنها أن تتحرر من كل شيء، فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة^(٢).

وهو إذا عرض الذاتي الخاص فلينتقل منه إلى العام لاستخلاص ما ينفع ويفيد في مجال الدعوة والمجتمع، مع إخضاع الرؤية الخاصة للتجريب العملي، ومن أشهر الوقائع في هذا المقام ما عرضه على إخوانه من الدعوة في المقاهي، وعارضه إخوانه بمقولة: إن أصحاب المقاهي لا يسمحون بذلك، ويعارضون فيه، لأنه يعطل أشغالهم، وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهي قوم منصرفون إلى ما هم فيه. وليس أثقل عليهم من الوعظ، فكيف نتحدث في الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا في هذا اللهو الذي انصرفوا إليه؟!

يقول الإمام: وكنت أخالفهم في هذه النظرة، وأعتقد أن هذا الجمهور أكثر استعداداً لسماع العظات من أي جمهور آخر حتى جمهور المسجد نفسه؛ لأن هذا شيء طريف وجديد عليه، والعبرة بحسن اختيار الموضوع، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم، وبطريقة العرض فنعرض بأسلوب شائق جذاب، وبالوقت فلا نطيل عليهم القول.

(١) السابق: ص ١٨١.

(٢) السابق: ص ١٨٣، وانظر في المذكرات: ٤٤، ٤٥، رأيه في العلم والشهادات متأثراً بالفزالي، وما عاناه في ترجيح وجهة على أخرى من صراع نفسي شديد.

ولما طال بنا الجدل حول هذا الموضوع قلت لهم: ولم لا تكون التجربة هي الحد الفاصل في الأمر؟ فقبلوا ذلك، وخرجنا، فبدأنا بالمقاهي الواقعة بميدان صلاح الدين، وأولها السيدة عائشة، ومنها إلى المقاهي المنتشرة في أحياء طولون إلى أن وصلنا من طريق الجبل إلى شارع سلامة والسيدة زينب، وأظنني ألقيت في هذه الليلة أكثر من عشرين خطبة تستغرق الواحدة منها ما بين خمس دقائق إلى عشر.

ولقد كان شعور السامعين عجيبيًا، وكانوا ينصتون في إصغاء، ويستمعون في شوق، وكان أصحاب المقاهي ينظرون بغرابة أول القول، ثم يطلبون المزيد بعد ذلك. وكان هؤلاء يقسمون - بعد الخطبة - أننا لا بد أن نشرب شيئًا، أو نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله، فلا نريد أن نضيعه في شيء. وكان هذا المعنى يؤثر في أنفسهم كثيرًا، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبيًا، ولا رسولاً إلا كان شعاره الأول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الأنعام: ٩٠)؛ لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل في نفوس المدعوين^(١).

ونقرأ في المذكرات ما ينم عن قدرة فائقة على تعمق الشخصيات وفهم أبعادها ومناحيها، وأثرها في نفسه وتوجهه، ومن ذلك ما كتبه عن أحمد الشرقاوي الهوريني الذي لم يره إلا مرة واحدة. وعن الشيخ صاوي دراز، رحمهما الله^(٢).

وأسلوب الإمام هو الأسلوب العضوي المرسل المباشر، فتقديم الفكرة هو شاغله الأول، ولكن المذكرات لا تخلو من قطع تتسم بالتوهج العاطفي والجمال الفني، ونكتفي هنا بسطور مما كتبه الإمام الشهيد عن إخوان البلاح:

(١) المذكرات: ص ٦٢.

(٢) المذكرات: ص ٤٦، ٤٧، وانظر كذلك لموقفه وتحليله لرأي "رينان" في الإسلام والإخوان ٢٢٧-

"... لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم في الحياة، وقدروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهم الخوف والذل والضعف والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله. فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة، وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالي الرأس في أدب، شامخ الأنف في وقار.." (١).

وأخيراً؛ نشير إلى أن الاستطراد (٢) يكثر في المذكرات، وقد يرجع ذلك إلى أن الإمام البنا اعتمد - بصفة أساسية - على ذاكرته في استعادة الأحداث والوقائع وتسجيلها. ومن ذلك عودته إلى حديثه عن الدعوة في البحر الصغير ص ١٤٤، بعد أن تحدث عنها حديثاً وافياً ص ١٣٢.

والخلاصة أن هذه المذكرات يصدق عليها وصف "الترجمة الذاتية". وقد رأينا أنها تمثل معرضاً لكثير من جوانب حياة الإمام الشهيد، ومبادئ الدعوة. وملاحمها ومسيرتها، وجهود دعاة الإخوان، مما يجعل منها مصدراً أساسياً للدعوة والداعية.

â â â

(١) المذكرات: ص ١٣٨، ١٣٩. وانظر كذلك حديثه عن الإسماعيلية: ص ٧٩.

(٢) الاستطراد من المحسنات المعنوية في علم البديع، وذلك أن يكون الأديب في غرض، ثم ينتقل منه إلى غرض آخر يناسبه، ثم يرجع إلى الأول، أو يسكت على المستطرد إليه (الشامل ص ٨٩).

ثالثاً: المقال

المقال: "فن نثري" يعالج بإيجاز موضوعاً معيناً: أدبياً أو علمياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، أو دينياً... إلخ. وعلى أساس الموضوع يتنوع المقال إلى: مقال نقدي، ومقال علمي، ومقال سياسي، ومقال اجتماعي، ومقال ديني، وغيرها. ولا بد أن يكون مكتوباً.

وكلمة "مقال" ليست غريبة على اللغة العربية، ولكنها من الناحية الفنية تعد محدثة في الأدب. فكلمة مقال كانت - في الحقيقة - أقرب على ما عرفه الأدب العربي القديم في الرسالة - لا الرسالة الشخصية أو الديوانية - ولكن الرسالة التي تتناول موضوعاً بالبحث: كرسائل إخوان الصفا. وازدهار المقال في مصر يرتبط بتاريخ الصحافة، وانتشارها، وتعددتها، وإقبال القراء عليها من سنة ١٩٢٠م، وتطورها أسلوبياً، وموضوعات، وكان للأدب الغربية آثار واضحة فيها.

وأياً كان نوع المقال فإنه يشترك في عناصره المكونة له، وهي "مادة المقال" يستمدّها الكاتب من أي موضوع يشاء: ذاتي أو موضوعي على أن تكون صحيحة لا تخلو من جدة وطرافة. والعنصر الثاني هو الأداء التعبيري أو الأسلوب، ويجب أن يكون صحيحاً سليماً لغوياً وقاعدياً، خالياً من الأخطاء، والضعف، والركاكة، والتعقيد، والغموض، والانغلاق، والتكلف.

وكالرسالة والخطبة يكون للمقال خطة يسير عليها، وأجزاؤها: المقدمة والعرض، والخاتمة. والمقدمة يجب أن تكون موجزة تمهد للعرض، وترتبط به دون تكلف، وتهدف إلى شد القراء لما يرد في العرض، فهي بالنسبة للمقال كالمقدمة الموسيقية بالنسبة للأغنية.

أما العرض، فهو الجزء الرئيسي من المقال؛ لذلك يكون مفصلاً معتمداً على الأدلة والبراهين.

وتأتي الخاتمة نهاية للمقال، ملخصة للنتائج التي وصل إليها الكاتب.

وهذا "التجزئي" إنما هو تجزيء صناعي يقصد به الشرح والتوضيح. أما واقع المقال فيقرر أنه بناء متكامل، ومعمار متماسك لا انفصام بين أجزائه.

ويرى الشهيد سيد قطب (رحمه الله) أن المقال فكرة قبل كل شيء وموضوع: فكرة واعية، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها، وترتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها، ولكن الاقتناع الفكري.

وهناك "الخاطرة"، وهي تشبه المقال، ولكنها ليست هو، إذ يغلب عليها الطابع الانفعالي لا الفكري. ويرى سيد قطب (رحمه الله) أنها في النشر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها^(١).

فالمقال يغلب عليه الموضوعية والعقلانية، وقوة الحجة والتدليل، أما الخاطرة فيغلب عليها - كما ذكرنا - الطوابع النفسية الانفعالية، بصرف النظر عن الجانب الكمي.

ولكن العرف يجري من عشرات السنين - خصوصاً في مجال الصحافة - على إطلاق كلمة "الخاطرة" على ما ينشر في كتاب أو صحيفة في مساحة عمود أو بعض عمود، ويعالج لقطة من الحياة في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية،

(١) ارجع إلى سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ١٠٥ - ١١٧، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م. ومحمد سعيد أسبر وبلال جنيدي: الشامل: ٨٨٨، ٨٨٩، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م. ومجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب: ٩٨، ١٥٠، ١٦٣، ٢٥١، ٤١٧ (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م)، والموسوعة العربية الميسرة ١٧٢٩ (دار الشعب - القاهرة - ١٩٦٥م).

وغيرها ، كالذي يكتبه أنيس منصور ، وإبراهيم نافع ، وأحمد سلامة ، ومكرم محمد أحمد في الأهرام. وكالذي يكتبه علي أمين ، ومصطفى أمين في الأخبار. كما أن "الخاطرة" تستعمل أحياناً بمفهوم قريب جداً من مفهوم "المقال". كما نرى في كتاب "خواطر من وحي القرآن" للإمام الشهيد حسن البنا^(١).

المقال عند الإمام الشهيد

ترك الإمام الشهيد مئات من المقالات التي كانت تنشر في صحف الإخوان وغيرها. وله خاطرات موجزة جداً كالخاطرات الصحفية التي أشرنا إليها. نكتفي بواحدة منها بعنوان "طبائع النفوس" ، وهي من القصصات التي كتبها وهو في الإسماعيلية ، ونصها :
 "لم يصارحني بما تم بينه وبينه بشأن الإنفاق في مشروعهما التجاري ، وقد كنت أظن أنه قد برئت نفسه من حب المادة ، وهذا الأسلوب الذي يعتمد على اللف والدوران ، فإذا بقياه لا تزال عالقة به. ذلك لا يؤسني من إصلاحه ، ولكنه يجعلني أعتقد أن تطهير النفوس من أدرانها أشق عمل في الحياة ، ويذكرني بقول شوقي:
 وشا في الناس من نزعات شرٍ كشافٍ من طبائع الذئاباً

ويجعلني أتريث كثيراً في الثقة بالناس إلا بعد تمام الخبرة^(٢).

كما ترك الإمام الشهيد ما يمكن أن نسميه "الرسائل المقالية". والمقصود بالرسالة المقالية تلك التي نشرت ابتداءً في شكل مقالات ذات وحدة موضوعية ، ثم تجمع بعد ذلك في رسالة. كرسالة "هل نحن قوم عمليون؟". وهي تجمع المقالات الآتية:

(١) الكتاب نشرته دار الدعوة في الإسكندرية ، ٢٠٠٥م.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية : ١٧٤.

رد على الشبهات - للغيورين من أبناء الإسلام - مؤسسات ومشاريع - إعداد الرجال - تحديد الوسيلة واعتماد المبدأ - منزلة الصلاة - الزكاة - الجهاد عزنا - حق القرآن - منهج الإخوان وميزانهم^(١).

وكتب الإمام الشهيد آخر سنة تخرجه في دار العلوم (سنة ١٩٢٧م) في موضوع نصه:
"أشرف أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبيّن الوسائل التي تعدها لتحقيقها".

وقد جمع ما كتبه الإمام في هذا "الموضوع الإنشائي" بين ملامح المقال وسمات الخاطرة: ففيه دقة التقسيم، والانتظام الفكري، وعمق التحليل، كما أنه لا يخلو من الطوابع الذاتية الوجدانية^(٢).

وترك الإمام كذلك ما يمكن أن نسميه الكتب المقالية. وأعني بالكتاب المقالي: الكتاب الذي يتكون من مقالات نشرت في الصحف، ثم جمعت بعد ذلك في كتاب واحد لاشتراكها في موضوع أساسي واحد، مثل كتاب "عظات وأحاديث منبرية"^(٣). وكتاب "المناسبات الإسلامية"^(٤).

ومثل هذه الكتب المقالية تختلف في منهجها وطابعها عما وضع أصلاً كتاباً متكاملًا، وهو ما سماه سيد قطب "البحث الطويل"؛ إذ يتناول الموضوع من جوانبه المتعددة، بتسلسل خاص، يجعل كل فصل أو عدة فصول مقدمات لنتائج متدرجة تصل إلى نهايتها في نهاية الكتاب... فكل فصل فيه يعالج جزءاً من الفكرة، ويصلح مقدمة للفصل الذي يليه، وجميع فصوله متعاونة^(٥).

(١) مجموعة الرسائل: ٣٤٩ - ٣٨٥، وقد نشرت تباعاً بجريدة الإخوان ابتداءً من العدد ١٤ (٢٨) من ربيع الآخر ١٣٥٣هـ). ثم الأعداد ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية: ٧٢ - ٧٤.

(٣) نشرته دار الدعوة بالإسكندرية، ٢٠٠٤م، جمعة أمين عبد العزيز.

(٤) نشرته الدار السابقة، ٢٠٠٦م، جمعة أمين عبد العزيز.

(٥) سيد قطب، النقد الأدبي ص ١١٧.

ومقالات الإمام الشهيد تختلف - من ناحية الكم - باختلاف الموضوع من ناحية، وطبيعة الصحيفة وتوجهها من ناحية أخرى، فالمقالات التي تعالج الموضوعات والمواقف السياسية والاجتماعية اليومية أو الطارئة تكون موجزة مباشرة، وفي الصحيفة اليومية لا تستغرق إلا جزءاً من الصفحة. هذا غير الموضوعات التي تعالج موضوعات العقيدة، والفقهاء، والدعوة، وسبل الإصلاح. فما كان ينشر في جريدة الإخوان اليومية تكون موجزة سهلة واضحة مباشرة، كما ذكرنا آنفاً، بينما نجد أن المقالات التي كان الإمام ينشرها في مجلات النذير، والشهاب، والفتح تطول حتى يكاد كثير منها يكون بحثاً صغيراً أو متوسطاً، وكأنه فصل في كتاب.

ونقدم في السطور الآتية الصحف والمجلات التي كانت تنشر مقالات الإمام الشهيد، وتمثل فكر الجماعة تبعاً لتاريخ صدورها:

أولاً: جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية

ظهر العدد الأول منها في ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ. الموافق ١٥ يونيو ١٩٣٣م. وظلت تصدر باسم الإخوان حتى العدد ٦٨ من السنة الخامسة في ١٢ من رمضان ١٣٥٧هـ، الموافق ٤ من نوفمبر ١٩٣٨م.

وكان الإمام يكتب فيها نوعين من المقالات: النوع الأول: هو ما كان يكتبه في القسم الديني من المجلة كالتفسير، والعقائد، والفقهاء، والفتاوى، والتصوف، والأخلاق، وعظة المنبر، وغيرها.

وتميزت تلك المقالات بوحدة موضوعها، وترتيب أفكارها وتسلسلها.

أما النوع الثاني، فكان في موضوعات عامة سياسية واجتماعية وأخلاقية، حسب المناسبات والأحداث التي تمر بها مصر، أو العالم الإسلامي في ذلك الوقت. بالإضافة إلى أنه كان يكتب غالباً افتتاحية المجلة. وعادة ما كان يخصصها لتوجيه الإخوان في

الموضوعات الدعوية، التي منها "إلى أي شيء ندعو الناس؟" و"دعوتنا" .. إلى غير ذلك من الموضوعات التي جمعت في كتاب "رسائل الإمام الشهيد".

وهذا النوع من المقالات يتسم بتنوع موضوعاته، وعدم تسلسلها إلا القليل، وارتباطه بالمناسبات والأحداث الطارئة في المجتمع أو العالم، أو لحاجة الإخوان والدعوة.

ثانيًا: مجلة النذير

صدر العدد الأول في ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧هـ، الموافق ٣٠ من مايو ١٩٣٨م. وكان آخر عدد للنذير صدر معبراً عن الإخوان في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٨هـ، الموافق ٨ من يناير ١٩٤٠م. وكان الإمام الشهيد الذي كتب فيها ما يربو على ثمانين مقالاً أكثر احتفاءً واهتماماً بالجانب السياسي والاجتماعي.

ثالثًا: مجلة المنار

وهذه المجلة أصدرها الشيخ رشيد رضا في ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨م، واستمرت في الصدور حتى توفى (رحمه الله) في ٢٢ من أغسطس ١٩٣٥م.

وبعد توقف المجلة استجاب الإمام الشهيد لإلحاح أسرة الشيخ وتلاميذه ومحبيه بتولي مسؤولية إصدار المنار، فأخرجها في نفس المستوى العلمي والثقافي الذي كانت تصدر به في عهد صاحبها. وقد صدر العدد الأول برئاسة تحرير الإمام البنا في غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ، الموافق ١٨ من يوليو ١٩٣٩م.

واستمر الإمام البنا في تفسير القرآن الذي بدأه الشيخ رشيد رضا بالمجلة، وكان قد توقف عند سورة يوسف. ومن هنا بدأ الإمام بتفسير سورة الرعد^(١)، علمًا بأنه كان يقوم بتحرير معظم موضوعات المجلة تقريبًا: حيث كان يكتب الافتتاحية، وباب

(١) ارجع إلى تفسير: "نظرات في كتاب الله"، للإمام الشهيد حسن البنا: ص ٢٤١ - ٤١٨ (جمعه وعلق عليه وحققه: عصام تليمة)، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة - ٢٠٠٢م.

تفسير القرآن، وفتاوى المنار، وموقف العالم الإسلامي السياسي، والمرأة المسلمة. وظلت المجلة على هذا النهج إلى أن صودرت وتوقفت عن الظهور بعد عدد شعبان ١٣٥٩هـ، سبتمبر ١٩٤٠م.

رابعاً: مجلة التعارف

بعد ابتعاد "النذير" عن الطابع الدعوي الإخواني، استأجر الإخوان مجلة "التعارف"، وذلك في ٢٣ من المحرم ١٣٥٩هـ، الموافق ٢ من مارس ١٩٤٠م. وكان الإمام البنا يقوم بتحرير بعض الافتتاحيات، إضافة إلى باب "صحيفتنا الفقهية"، ومقالات أخرى توضح رؤية الإخوان للإصلاح السياسي والاجتماعي في ذلك الوقت.

ولكن المجلة صودرت وتوقفت في شعبان ١٣٥٩هـ، الموافق ٧ من سبتمبر ١٩٤٠م، بعد مضي ما يقرب من سبعة أشهر من استئجار الإخوان لها.

خامساً: مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية:

بعد توقف دام سنتين تقريباً لصحف الإخوان، سمحت حكومة الوفد للإخوان بصدور مجلتهم، وصدر العدد الأول من المجلة نصف شهري في ١٧ من شعبان ١٣٦١هـ، الموافق ٢٩ من أغسطس ١٩٤٢م. ثم أصبحت المجلة أسبوعية من العدد الخامس والستين في السنة الثالثة ١ من رمضان ١٣٦٤هـ، الموافق ٩ من أغسطس ١٩٤٥م. ثم صودرت بعد صدور العدد ٢٢٤ للسنة الرابعة في ٣ من صفر ١٣٦٨هـ، الموافق ٤ من ديسمبر ١٩٤٨م، عندما صدر قرار حل جماعة الإخوان، ومصادرة جميع ممتلكاتها في عهد وزارة النقراشي.

وكتب الإمام البنا بها أكثر من مئة مقال في مختلف القضايا الشرعية والفكرية والاجتماعية والسياسية والدعوية تحت عنوان "من أهداف الدعوة".

سادساً: جريدة الإخوان المسلمين اليومية

صدر العدد الأول منها في ٣ من جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ، الموافق ٥ من مايو ١٩٤٦م. وتمت مصادرتها، وكان آخر عدد صدر منها في ٢ من صفر ١٣٦٨هـ، الموافق ٣ من ديسمبر ١٩٤٨م، بعد أن صدر منها ٧٩٤ عددًا.

وقد كتب الإمام الشهيد فيها ما يزيد على ٣٧٠ مقالاً في كل القضايا: الشرعية والإيمانية، والسياسية والاجتماعية، وكذلك سلسلة من المقالات بعنوان "نحن"، ليبيّن دعوة الإخوان المسلمين، وعلاقتها بالهيئات والمؤسسات الأخرى، ورؤيتها في إصلاح المجتمع.

سابعاً: مجلة الشهاب

أصدرها الإمام الشهيد في غرة المحرم ١٣٦٧هـ، الموافق ٤ من نوفمبر ١٩٤٧م. وكانت المجلة حافلة بالبحوث والمقالات العلمية المهمة للإمام البنا، وآخرين من العلماء والمفكرين في شتى المجالات.

ولم يصدر من المجلة إلا خمسة أعداد: آخرها صدر في غرة جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، الموافق ١٢ من مارس ١٩٤٨م.

ثامناً: مجلة الفتح

وهي مجلة إسلامية علمية أخلاقية، أصدرها محب الدين الخطيب في ٢٩ من ذي الحجة ١٣٤٤هـ، الموافق ١٠ من يونيو ١٩٢٦م. وظلت تصدر لمدة ٢٤ عاماً، ثم توقفت عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، بفعل صاحبها، بعد أن رأى ما أنزله أعداء الإسلام بالإخوان من محن. وقد أفسحت المجلة للإمام البنا المجال للكتابة فيها، فكتب ما يزيد على ٢٣ مقالاً في الدعوة إلى الله، والسبيل إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وغيرها من القضايا، وأغلب هذه المقالات نشر عامي ١٩٢٨، ١٩٢٩م^(١).

(١) عن الكتاب الأول من سلسلة: تراث الإمام البنا، العقيدة والحديث، جمعة أمين: ١٢ - ١٩، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، وكررت في الكتب الأربعة التالية: التفسير - من وحي القرآن - الفقه والفتوى - عظات وأحاديث منبرية.

وبعد العرض السابق نخرج بعدد من الحقائق، أهمها:

- (١) أن الصحافة أخذت من اهتمام الإخوان الكثير، كوسيلة دعوية وتنشيطية ذات تأثير كبير، كالخطب والمحاضرات.
 - (٢) أن هذه الصحف تنوعت في توقيت صدورها ما بين شهرية، ونصف شهرية، وأسبوعية، ويومية.
 - (٣) أن أغلب هذه الصحف تعرضت للتوقف، أو لامتناع الإخوان والإمام الشهيد عن الكتابة فيها، لخروجها عن الخط الإخواني. ولكن أشد ما واجهته هو المصادرة الحكومية لأسباب سياسية.
 - (٤) كان الإمام الشهيد هو صاحب الحظ الأوفى في كتابة المقالات والبحوث في هذه الصحف. ويُشهد له أنه كان يقوم بتحرير معظم موضوعات مجلة "المنار": كالافتتاحية، والتفسير، والفتاوى، وقضايا العالم الإسلامي، والمرأة المسلمة.
 - (٥) كان الهدف الأساسي لهذه المقالات الانتصار للقيم والمبادئ الإسلامية، ونشر دعوة الإخوان، وتربية النشء والشباب على درب السلف الصالح.
- وقد كان لهذه المقالات آثار طيبة في تربية الإخوان وتوجيههم، وتنمية معارفهم على الرغم من الصعوبات والعقبات التي كانت تعترضها.
- وأذكر أن بعض دور التوزيع كانت تصدر إليها أوامر سلطوية بالامتناع عن توزيع الصحف الإخوانية، فكان الإخوان يقومون بتوزيعها بأنفسهم، في المدن والقرى. وقد كان لي - وأنا ناشئ في حقل الدعوة - شرف المساهمة في هذا العمل النبيل.
- وعوداً على بدء، نُذكرُ القارئ بأن الإمام الشهيد قد عالج كل أنواع المقال، فكتب المقالات الدينية، والتاريخية، والتربوية، والسياسية، والوطنية، والنقدية، بأسلوب جمع بين الوقار العقلي، والتوهج العاطفي.

والذين كتبوا عن فن المقال عند الإمام الشهيد أغفلوا هذا النوع الأخير: المقال النقدي، وقد يرجع ذلك إلى قلة هذا النوع، وغلبة الأنواع الأخرى؛ لقوة اتصالها بالعمل الدعوي.

وما بين يدي من مقالات نقدية ينم على قدرة فائقة على الحكم والتقييم، ويملك الإمام ذائقة رفيعة في التعامل مع النصوص، فهو يجمع بين العقل والوجدان في التقييم النقدي. وكل أولئك قاده إلى الموضوعية والإنصاف، ففي نقده لكتاب "حياة محمد" للدكتور محمد حسين هيكل^(١) يقول: "وظهر في عالم التأليف كتاب "حياة محمد (ﷺ)"، وأخذ دوره من التقريظ والنقد، والإعجاب والتقدير، والإطراء والتكريم، ولنا حول هذا الكتاب حديث نحب قبل أن نعالجه أن يعلم الدكتور نفسه، والقارئون معه أننا سنعالجه على ضوء الشعور البريء الخالي من التأثير بأية عاطفة إلا عاطفة الوصول للحق، والحق أسمى مطالب المخلصين".

وفي ختام نقده، وحرصاً على الوصول إلى اليقين - يوجه لهيكل الأسئلة الآتية:

- ١- ما رأي الدكتور الفاضل في المعجزات: ماهيتها، وثبوتها، وأمثلتها؟
- ٢- وما رأي الدكتور في حجية الحديث؟ وهل يرى حضرته أن كلام الفنيين من علماء الحديث الأثبات حجة في الفن يعتمد عليها، ويصار إليها؟
- ٣- هل كان الدكتور متأثراً حين الكتابة بملاحظة ضرورة إقناع المستشرقين، ومن هذا حذوهم من الشرقيين بعظمة النبي (ﷺ)، أم كان مقصده أن يسير مع البحث إلى أية نتيجة أدى إليها؟

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، السنة الثالثة، العدد ٦، ٨ من صفر ١٣٥٤هـ / ٢١ من مايو ١٩٣٥م.

وعلى هذا النهج يمضي الإمام الشهيد في نقده للكتب وأصحابها: كنقده لكتاب "لسان المنبر" للأستاذ محمود طيرة - خطيب مسجد الجوهرية، وقد اعتبره "فتحاً جديداً في الوعظ والإرشاد، إنه المعنى الجامع والسهل الممتع، قول فصل، ولفظ جزل، وعبارة سلسلة رقراقة، يجد فيها الأديب روعة الأدب، ويجد فيها العادي تأثير العظمة، فنحن أمام صورة حية من صور المجتمع، تمثل لك الداء والدواء، وتصنف تلك الحياة في ثوبها السعيد البهيج، والشقي المؤلم، مع بيان السبيل إلى كل منها، لتعمل على الأول، وتتجنب الثاني..."^(١).

ويربط بين شعر محمد حسن النجمي، ومحمد صادق عرنوس، وبين الإسلام ومتطلباته.. وهو شعر يتجلى خلاله صدق الإيمان، وقوة الشعور والإحساس. أي أنه شعر رسالي ملتزم، يحرص على أداء دوره الإنساني الحيوي على أكمل وجه^(٢).

وللإمام مقالان طويلان عن التجديد في الأدب العربي^(٣) عالجا الأفكار الرئيسية الآتية:

§ ضرورة التجديد تمشياً مع روح العصر.

§ كلمة قيمة لابن قتيبة "لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً، مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين، ابتداءً هذا بناءً فأحكمه، وأتقنه، ثم الآخر فنقشه وزينه".

(١) جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، السنة الثانية، العدد ١٦، ١٣ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ / ٢٤ من أغسطس ١٩٣٤م.

(٢) جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، السنة الأولى، العدد ٩، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢هـ / ١٠ من أغسطس ١٩٣٣م.

(٣) الأولى في الجريدة الأسبوعية - السنة الأولى، العدد ١، ٢١ من صفر ١٣٥٢هـ / ١٥ يونيو ١٩٣٣م، والثاني في العدد ١٥ غرة جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ / ٢١ من سبتمبر ١٩٣٣م.

§ مما يؤسف له أن نلاحظ أن المتصدرين لمهمة تجديد الأدب العربي من رجال المدرسة الحديثة - كما يلقبون أنفسهم - سلكوا إلى هذه الغاية سبلاً لا تؤدي إليها، ولا تفيد فيها، ومن هذه السبل:

١- الإسراف في التقليد الأوروبي، والإعجاب بأدب الغرب إعجاباً جعلهم ينصرفون عن محاسن لغتهم.

٢- الغلو في التشكك، واتخاذ الفروض حقائق مسلمة تبنى عليها نتائج ثابتة، لتتقض آراء الأقدمين.

٣- الزرابة على الأسلاف، وإظهارهم للناشة والمتأدين بمظهر الأغرار.

٤- التستربحرية البحث، واحترام الفكر، والتوصل بذلك إلى هدم العقائد الأدبية الثابتة.

٥- التحلل من قواعد الأخلاق، والعناية بكل ما يتصل بالإباحة والمجون والخلاعة والمتعة.

٦- الإبهام والغموض.

هذا هو التجديد المدمر الهدام. لذلك يجب أن يعتمد تجديدنا على أصول صحيحة مثمرة، أهمها:

١- الابتكار في الأغراض والمعاني والأخيلة والأساليب، ارتباطاً بالحياة وتمثيلاً لها.

٢- تمجيد السلف، والاعتراف بفضلهم وجهودهم.

٣- نزاهة البحث، والابتعاد عن الهوى والشبهات.

٤- كمال الاستقراء، وحسن الاستقصاء، مع صدق النية في الوصول إلى الحقيقة.

٥- خدمة الأخلاق والفضيلة بالأدب بقدر خدمته للفن والعاطفة.

وقد أخذ الإمام نفسه بهذا النوع السوي من التجديد ، ولم يكتف بالدعوة النظرية إليه ، ولكنه جعل المقال الثاني دراسة تطبيقية بعنوان "التجديد في الأدب العربي: الانتقال الأول من الجاهلية إلى الإسلام" ، عالج فيه أفكاراً رئيسية ، أهمها:

- تأثر اللغة بظروف الأمة.

- من مظاهر التجديد قديماً.

- شواهد من نصوص القدامى ، مثل المرقش الأكبر عمرو بن سعد في الحماسة والفخر بقومه ، وطرفة بن العبد في وصف السفينة ، والأعشى في الاعتذار ، وذي الإصبع العدوانى في وصيته لابنه أسيد.

â â â

رابعاً: القصة

من التعريفات الموجزة الجامعة للقصة أنها حادثة أو مجموعة حوادث تجري لشخصية أو عدة شخصيات تختلف أساليب عيشهم، وأنماط تفكيرهم اختلافها على أرض الواقع، يعيشون في بيئة مناسبة زماناً ومكاناً، وتعرض القصة بأسلوب نثري، وتوضح نظرة الكاتب وآراءه^(١).

ويقسم سيد قطب العمل القصصي إلى: رواية، وقصة، وأقصوصة، وهو ترتيب تنازلي تبعاً للطول^(٢).

فالأقصوصة تدور على محور واحد، في خط سير واحد، ولا تشمل من حياة أشخاصها إلا فترة محدودة، أو حادثة خاصة، أو حالة شعورية معينة، ولا تقبل التشعب والاستطراد إلا ملاسبات كل حادث، وظروف كل شخصية، إذا كان ذلك يوجه النظر بعيداً عن الشخصية الأساسية أو الحالة الأساسية^(٣).

فالأقصوصة هي أقصر الأعمال القصصية، والرواية أطولها، والقصة تكون وسطاً بين الرواية والأقصوصة. وإن كنا نرى أننا يمكن - اعتماداً على معيار الطول - أن نضيف نوعاً رابعاً يأتي بين القصة والأقصوصة هو القصة القصيرة، فيكون الترتيب على النحو التنازلي التالي:

الرواية - القصة - القصة القصيرة - الأقصوصة.

(Novel- Story- Short story- Short Short story).

(١) الشامل: ٦٧١.

(٢) قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ص ٩٣.

(٣) قطب: السابق، ص ٩٤، ومجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، ص ٥١٨.

وهناك من النقاد من يأخذ - في التعرف إلى هذه الأنواع - بالتحديد الكمي الصارم، فيرى أن القصة القصيرة - على سبيل المثال - لا تزيد على عشرة آلاف كلمة^(١).

ولكننا نرى أن الازدواجية المعيارية - كمًّا وكيفًا - هي الأجدر والأدق في تحديد مفهوم العمل القصصي.

هذا، وبالنظر إلى المحور الأساسي للعمل القصصي وهدفه، أو غايته. يمكن أن يصنف في الأنواع الآتية:

١- قصة الحدث.

٢- قصة الشخصية.

٣- قصة المغزى.

فالأولى تهدف - بمنهج فني - إلى تصوير واقعة سياسية، أو اجتماعية، أو تاريخية.

والثانية تهدف إلى تقديم شخصية ذات أبعاد يحرص القاص على أن يعيشها القارئ حبًا واعتزازًا، أو كراهية ومقتًا.

والثالثة تحرص على إبراز قيم أخلاقية أو دينية، أو تربوية سلوكية، لذلك كانت هي أنسب الأنواع للتلاميذ في مجال التربية والتعليم.

وما كتبه الإمام الشهيد يصدق عليه - مع شيء من التجاوز - وصف "الأقصوصة"، فالواحدة لا تتعدى الصفحتين، وهي من النوع الثالث الذي يهدف إلى تحقيق أهداف نبيلة، وغرس قيم راقية، حتى إن إحداها صُدّرت صراحة بالعبارة الآتية:

(١) الموسوعة العربية الميسرة، ١٣٨٣.

"يراد من نشر هذه المحادثات إثارة أذهان الشعب في موضوعات الوطنية، وتثقيفه إلى درجة ما في شؤون السياسة العامة للأمة، مع ربط النظريات الحديثة بالفكرة الإسلامية دائماً، وبيان فضل الثانية على الأولى^(١)."

وغير "عم سيد" و"فوق المصطبة"، كتب الإمام الشهيد من الأقاويص "كامل"، و"حديث الجمهور" في جزئين^(٢).

وقد أشرنا آنفاً إلى أنها كلها - دون استثناء - من أقاويص المغزي، أي أن طرح القيم الإنسانية والإسلامية والخلقية يحتل المكانة الرئيسية الأولى، ولو جاء ذلك على حساب الملاحم والطوايع الفنية أحياناً. وأهم هذه الطروحات:

١- النشء هم نبتة اليوم، وشجرة المستقبل، لذا كان على الأمة أن تهتم به، وتربيته على القوة، والصبر، والمصابرة، وعزة النفس، واستعلاء الإيمان.

٢- الاعتزاز بالإسلام - عقيدة وعملاً - هو السبيل الأقوم لتحقيق القوة الذاتية، والنهوض، والنصر في شتى المجالات.

٣- حب الوطن والعمل له من أهم ملاحم المسلم الحق الصادق الأمين.

٤- هلاك الأمم والدول رهين بسقوطها الخلقى، وتخليها عن قيم دينها، والاستجابة للمغريات، والمفاسد، واللغو، والمتع الحرام.

(١) فوق المصطبة: النذير، السنة الأولى، العدد (١)، ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧هـ / ٣٠ من مايو ١٩٣٨م. وانظر آخر فقرة من أقصوصة "عم سيد"، جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، السنة الأولى، العدد ٩، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢هـ / ١٠ من أغسطس ١٩٣٣م.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١)، السنة الثانية، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ / ٤ مايو ١٩٣٤م، ص: ٢٧ - ٢٨.

٥- اليأس هو أعدى أعداء الإصلاح والنهوض والتقدم. وعلى المسلم أن يكون آملاً في الله، ثابت القلب، قوي العزيمة، متفتحاً للحياة، عاملاً - في جد وصدق - لما يصلح الأمة، وينهض بها.

٦- المرء لا يأتي بخير، وإذا ناقش المسلم غيره، وجب أن يكون ذلك بحثاً عن المعرفة والحقيقة بسماحة وطيب نفس.

٧- فساد الحاكم، وتسلمته على الرعية ظالماً مستبداً يُشرك الرعية في المسؤولية إذا ما استسلمت لهذا الظلم، ولم تتصد له بالمقاومة، أو الهجرة إلى أرض عدل وحرية: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَتْ فَتَهَا جُرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ٩٧).

وشخصيات هذه الأقاليم "شخصيات مسطحة" يدرك القارئ أبعادها في سهولة ويسر من دون حاجة إلى تعمق واستبطان.

وهي من الشخصيات التي لها وجود في المجتمع المصري، وخصوصاً البيئة الريفية، وهي مجرد آلية لإبراز القيم الدينية والخلقية.

فعم سيد - في القصة التي عرضت باسمه - يمثل شخصية واعية للرجل الطاعن في السن، الخبير بتجارب الحياة في صورتها التلقائية العفوية، فهو يتسلى، ويسلي الآخرين بالحكايات النافعة، دون البحث عن حظها من الصدق التاريخي.

والغلام الأندلسي نموذج للمسلم الذي تكتفت فيه قيم الإسلام من عزيمة وإصرار.

و"كامل" نموذج للعامل المسلم الأمين الذي يهزم بقيمه الروح الاستعماري المنهوم المتمثل في شخصية "الخواجة".

والشيخ علي نموذج للأخ المسلم البسيط الذي تفيض نفسه بالأمل في الإصلاح والتقدم، إذا ما تمسكنا بالعقيدة والقيم الخلقية.

وهناك الشخصيات النقيض: سيد أفندي، والشيخ صالح، وعم إبراهيم، وهم يمثلون صوت الاكتئاب واليأس من الإصلاح بعد أن عم الفساد.

ثم حضر الجلسة التالية شيخ يدور في الفلك نفسه هو الشيخ عبد السلام الذي يحرص على الجدل والمرء، حرصاً منه على حيازة غلبة وانتصار على من يتصدى له، وليس من همه الوصول إلى الحقيقة.

وليس هناك واقعة - في المعروض القصصي - تشد النظر؛ لأن أغلبها جلسات مكررة يستغرقها الحوار. والحوار ذو طابع واقعي، لا مجال فيه للتزين والتميق التعبيري.

وهذه الأقاويص تعتمد في أدائها التعبيري على الحوار، والمعروف - نقدياً بصفة عامة - أنه يقوم برسم الشخصيات، وإبراز أعماقها الدفينة، وأحاسيسها الكامنة، وخلق التلاحم بين الشخصيات، كما يقوم بخلق التفاعل بين الشخصيات والأحداث وتطويرها.

ويجب أن يؤدى الحوار بلغة تناسب الشخصيات في مستواها العلمي والاجتماعي والنفسي. والحوار في هذه الأقاويص يؤدى بلغة سهلة واضحة، وبأسلوب عربي ليس فيه كلمة غريبة واحدة، ولكنه - وهذا عيب من عيوبه في نظري - لا يخلو من عبارات عامية، مثل العبارات التي جاءت على لسان المعلم صالح: "يا عم الشيخ علي، اعمل معروف، جمعية إيه؟ وجريدة إيه؟ همّ الناس في هذه الأيام نافع فيهم وعظ أو كلام أو جمعيات..".

ومما جاء على لسان سيد أفندي: "هو ما فيش إلا البنات والحفلات؟ ما هي الدنيا كلها صارت فساد.."^(١).

(١) من أقصوصة "حديث الجمهور".

ولكن الحوار - إذا استثنينا العبارات العامية - يمضي بأسلوب عربي سهل دارج، متفاعل مع طبيعة الشخصيات والبيئة. وأعمق وأدق ما نلقاه من حوار هو ما دار بين الشيخ علي والشيخ عبد السلام، وموضوعه الفرق بين النقاش الهادف والمرء من أجل إحراز التغلب والنصر.. ومما جاء في هذا الحوار:

"فالنبي (ﷺ) نهانا عن الجدل والمرء في الدين، وغضب على أولئك الذين كانوا يتجادلون غضباً شديداً.. فأنا لهذا أكره الجدل، وأنصر من المناقشات التي تدور حول المرء، وذلك كثيراً ما يؤدي إلى الخلاف والبغضاء، وإفساد ذات البين، وإنما هلك السابقون باختلافهم وتباغضهم".

فقال الشيخ عبد السلام:

"هذا كلام غريب يا شيخ علي، وما الفرق بين المناقشة للجدل، والمناقشة للتفاهم؟ أو ليس كل هذا جدلاً وخلافاً؟".

فقال الشيخ علي:

"يا عزيزي الشيخ عبد السلام، الفرق بينهما عظيم؛ فإن كنت تناقشني للتغلب عليّ بالحق أو الباطل، وتقصد بذلك أن تظهر أمام الإخوان، وتغضب إذا رأيت الحق في غير صفك فهذا الجدل الممقوت. وإذا كنت تقصد الوصول للحق فقط، سواء أكان معي أو معك، وتملك نفسك فلا تغضب، ويتسع صدرك لذلك، وتمشي مع الدليل من دون مكابرة، فهذا هو النقاش للوصول للفهم، وهو لا بأس به، أفليس الفرق بينهما عظيماً أيها الأخ المفضل؟" (١).

(١) من الجزء الثاني من "حديث الجمهور".

ولم يعد الحوار عبارات تراثية شعبية، وهي قليلة مناسبة لوقائع الأقصوصة التاريخية، وبيئتها الأندلس، وهي عبارات تكثر في القصص الشعبي التاريخي كقصص "ألف ليلة وليلة". فجاء في أقصوصة "عم سيد":

"وكان لهم (لأهل الأندلس المسلمين) أعداء بجوارهم من الكفار، فأرادوا أن يأخذوا بلادهم، ويستولوا على ملكهم، فنادى الملك وزيره، وقال: دبرني يا وزير، فقال له: لبيك يا ملك الزمان..".

وهذه الأقاصيص - كما أشرت - تعيش في الواقعية الاجتماعية حيث بيئة الريف بعاداتها وتقاليدها، ولكن بصمات بيئة منطقة القناة، حيث كان الاستعمار الإنجليزي يضرب أطنابه، وكان عسكر الإنجليز، وكبار موظفيهم يتحكمون في العمال المصريين، وينظرون إليهم نظرة السيد إلى المسود، وقد رأى الإمام الشهيد ذلك رأي العين، إذ إنه قضى في الإسماعيلية خمس سنين مدرساً، بعد تعيينه بها مدرساً في سبتمبر ١٩٢٧م.

والمفروض أن خاتمة الأقصوصة، وهي ما يسمى - بلحظة التنوير - يجب أن تبرأ من المباشرة والافتعال، وأن تكون نتيجة طبيعية للأحداث.

ولكن المباشرة والافتعال واضحان في خواتم هذه الأقاصيص. وخصوصاً أقصوصة "عم سيد". مما يبعتها إلى حد كبير عن طبيعة الفن القصصي، ويجعل منها ما يمكن أن نسميه "المقال القصصي". فتحقيق ما ترمي إليه هذه الأعمال من قيم دينية، وخلقية، وإنسانية وسلوكية هو همها الأول، ولو كان ذلك على حساب الفن القصصي وأصوله.

وعوداً على بدء، نذكر أن أهم ما يتسم به العمل القصصي في أدبيات الإمام

الشهيد:

- ١- القصر والإيجاز.
- ٢- الواقعية الاجتماعية: فشخصها غالباً من البيئة المصرية، وإن شئت فقل: إنها من الشخصيات اليومية التي يقابلها الإنسان، ولا يخلو منها أي مجتمع، ومن ثم لم تكن غريبة على المتلقي.
- ٣- الاعتماد الأساسي على الحوار الهادف المنتج، حتى لتكاد تخلو من الحديث الأَخَازِ، وذلك على حساب التعقيد الفني، فالأقصوصة تمضي في انبساط حوارى لإبراز قيم معينة، فكانت أشبه بالصورة القصصية الممتدة، وقد يصفها بعضهم بالمقال القصصي.
- ٤- وهي ليست من قصص الشخصية، أو قصص الحدث، بل هي من قصص المغزى التي وضعت لتحقيق هدف ديني وعقدي، أو سلوكي تربوي. ومن ثم كانت بهذه المضامين أنسب للناشئة والشباب.

â â â



الفصل الثاني

من الطوابع والملاحم الفنية

١- مراعاة المقتضى

مقتضى الحال - ويسمى الاعتبار المناسب - : هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة، مثلاً المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى. وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى^(١).

والحال: هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على صورة مخصوصة، سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع، أم كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم^(٢).
ولكن العرف البلاغي لا يقف طويلاً أمام المفهوم الحاد "لمصطلح مقتضى الحال" ومراعاته، ويكاد يوظفه مرادفاً لصفة "التناسب"، وهذا - في رأبي - أفضل وأجدى من الناحية العملية.

فيجب أن يكون البيان مناسباً للمقام والموقف، وشخصية المخاطب، فلا يكلم الملوك بما يكلم به السوقة مدحاً أو هجاءً؛ فالمرزباني "يعرض للقصيدة التي يهجو البحري فيها "المستعين بالله"، التي مطلعها:

أعاذلتني على أسماء ظلماً وإجراء الدموع لها الغزار

يقول المرزباني: "وهذه الأبيات من أقبح الهجاء وأضعفه لفظاً، وأسمجه معنى.. وهي أيضاً خارجة عن طريقة هجاء الخلفاء والملوك المألوفة، وهي بهجاء سفلة الناس ورعاعهم أشبه، مع ما جمعت من سخافة اللفظة، وهلهة النسج، والبعد من الصواب.."^(٣).

(١) معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة: ص ٥٤٨، دار المنارة، جدة، ط(٣)، ١٩٨٨م.

(٢) السابق ص ١٨٢، وانظر ص ٣٩٧، وانظر: محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ٧٨٠/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٩٩٣م.

(٣) المرزباني، الموشح: ٥١٤، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.

وتشور في المباحث البلاغية - عن تقييم الأساليب - مسألة التفضيل بين الإيجاز والإطناب، فهناك من يرى أن البلاغة إيجاز، وأن خير الكلام ما قل ودل، وأن الزيادة في الحد نقصان^(١).

وهناك من يفضل الإطناب على الإيجاز بدعوى أن المنطق "إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يكون إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط إحاطة تامة إلا بالاستقصاء"^(٢).

والواقع أن المفاضلة بين الإيجاز والإطناب - بهذا الإطلاق - في غير محلها؛ لأنها تغفل في الموازنة عن عنصر مهم جداً هو عنصر "المقام، أو المجال أو المناسبة". ونحن نرى في هذه المسألة ما يراه أبو الهلال العسكري من أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام.. ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك من جهته واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ^(٣).

وكان النبي (ﷺ) في بيانه هو المثل الأعلى في هذه السمة: سمة مراعاة طبيعة الغرض ومقتضى الحال، فهو - على حد قول الجاحظ - "استعمل المبسوط (الإطناب) في موضع البسط، والمقصور (الإيجاز) في موضع القصر"^(٤).

(١) انظر: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين: ص ٣٤، القاهرة، ١٩٥٢م.

(٢) السابق: ١٩٠.

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيان، ٨/٢، ط(٢)، دمشق ١٩٦٣م.

فهو يستخدم الإطناب في معاهداته لما تحمله من حقوق وواجبات، كما نرى في صلح الحديبية^(١). وفي كتاب المواعدة الذي كتبه بعد هجرته من مكة إلى المدينة، ويمثل دستور عمل ومعايشة في المجتمع الجديد^(٢).

وهو (ﷺ) يستخدم الإيجاز في المقام الذي يقتضيه، فحينما بعث إليه مسيلمة الكذاب بكتابه الذي يدعي فيه النبوة، وأنه شريكه في الأرض، "ولكن قريشاً قوم لا يعدلون"، جاء جواب رسول الله (ﷺ) في سطرين: "أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين"^(٣).

وحقق رسول الله (ﷺ) بهذا الإيجاز غرضين: أولهما الترفع عن الخوض في جدل عقيم مع رجل دعي، لا هم له إلا الجاه والسلطان وأبّهة الدنيا. وثانيهما: تقرير الرد في صورة حقيقة عامة تعتبر جوهراً من جواهر العقيدة الإسلامية، وهي أن "الأرض لله يورثها من يشاء"^(٤).

بل قد يصل الإيجاز إلى درجة من التكثيف والتقطير فتصبح الرسالة أشبه ما تكون بالبرقية، فقد كتب إلى عمه العباس بن عبد المطلب ما نصه: "إن مقامك بمكة خير"^(٥).

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٢٧٧ - ٢٩٥، القاهرة، ١٩٤١م.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٠١/١ - ٥٠٤، مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٠/٢. وفتوح البلدان للبلازري ٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

(٤) انظر: جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام ١٣٠/١، دار الفكر العربي، القاهرة، ط (١)، ١٩٨٦م.

(٥) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ص ٥٢، ط (٣)، دار الإرشاد، بيروت. وكان العباس عيناً لرسول الله (ﷺ) على الكفار في مكة، فاشتاق أن يتركها ويهاجر إلى النبي (ﷺ) في المدينة، فبعث إليه بهذه الرسالة (البرقية).

ومراعاة مقتضى الحال تعد الصفة الجامعة التي يستظل بها كل الملامح والسمات الفنية الأخرى، فوجودها مع تخلف هذه السمة الأساسية يعد وجوداً عبثياً؛ لانعدام التناسب والتوافقية بين الإبداع والأشخاص والبيئة المكانية والزمانية.

وكان الإمام الشهيد (رحمه الله) يأخذ نفسه بهذه السمة في خطبه، ومقالاته، ورسائله، وكذلك في أحاديثه العادية مع الآخرين، ونسوق فيما يأتي أمثلة تؤيد ذلك: كان (رحمه الله) يلتزم أدب الحديث في رسائله، ويرعى مقام من يخاطبهم بهذه الرسائل، مستخدماً الألقاب الخاصة بكل شخصية:

فهو يستهل رسالته إلى الملك فؤاد بقوله: "إلى سدة صاحب الجلالة الملكية، حامي حمى الدين، ونصير الإسلام والمسلمين، مليك مصر المفدى..."^(١).

وفي أكتوبر ١٩٣٩م - بعد إعلان الحرب العالمية بأيام - يرفع رسالة إلى عليّ ماهر باشا، ويصفه بقوله: "حضرة صاحب المقام الرفيع عليّ ماهر باشا - رئيس مجلس الوزراء..."^(٢).

ويخاطب مصطفى النحاس باشا - رئيس الحكومة - بقوله: "...وبعد، فدولتكم أكبر زعيم شرقي، عرف الجميع فيه سلامة الدين، وصدق اليقين..."^(٣).

ويخاطب الأنبا يونس - بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر - ب: "صاحب الغبطة.. ما نعهده في غببتكم من أسمى عواطف الرحمة النبيلة، والبر بالإنسانية المعذبة..."^(٤).

(١) مذكرات الدعوة والداعية: ص ٣٠٢.

(٢) السابق: ص ٣٥٠.

(٣) السابق: ص ٢٩٢.

(٤) السابق: ص ٢٨٢.

فإذا ما اختلفت الحال تَغَيَّرَ إلى الضد وجه المقال، كما نرى في رسالته الغاضبة إلى صدقي باشا - رئيس الوزراء - وهي الرسالة التي وجهها الإمام إليه في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦م، بعد أن غرَّرَ بالشعب، ومَآلاً المستعمر، ولم يف بما وعد^(١).. وفيها يقول بنبرة غاضبة: "... ولكن حكومة دولتكم أصرت إصراراً عجيباً على موقفها الضعيف المتخاذل، وأخذت تكبت شعور الهبئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات..".

"... قد تضامنتم - بقصد أو بغير قصد - مع الغاصبين في الاعتداء على استقلال الوطن وحرية..".

"وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدر منكم على سلوك النهج القويم.."^(٢).

وفي ٢ من نوفمبر ١٩٣٧م - بمناسبة ذكرى وعد بلفور - يوجه الإمام الشهيد إلى السفير الإنجليزي رسالة صاخَّة غاضبة بسبب موقف الحكومة الإنجليزية تجاه القضية الفلسطينية، وهو موقف مناصر للصهاينة على طول الخط، ختمها بقوله: "إن قضية فلسطين قضية كل مسلم.. وإن الحكومات الإسلامية، والشعوب الإسلامية إن عبرت عن إظهار هذا الشعور المتمكن من نفوسها كل المتمكن بوسائل الإظهار البالغة لظروف خاصة، فإن هذا مما يزيد ألمها، ويضاعف همومها، ومن ثم لابد من الانفجار يوماً للشعور المكبوت، فتخسر إنجلترا صداقة العالم الإسلامي إلى الأبد. نرجو أن تدرك الحكومة البريطانية هذه الحقيقة قبل فوات الوقت، على الرغم من كل ما يخدعها به اليهود. وننتهز هذه الفرصة لتحييتكم"^(٣).

(١) وكان الإمام قد وجه إلى صدقي رسالة بمطالب الشعب في ٢٤/٢/١٩٤٦م، ووعد صدقي بأنه سيرعى مصلحة الشعب، وينفذ ما طلبه الإخوان منه، ولكنه كذب وغدر، فكانت هذه الرسالة الثانية: انظر: محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ: ١/٣٧٠ - ١٧٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

(٢) انظر عبد الحليم: السابق: ١/٣٧٧.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية: ص ٣٠٤.

وقد أشرت من قبل إلى أن "مراعاة مقتضى الحال" سمة فنية وموضوعية شاملة، تعيش في ظلها الملامح الفنية الأخرى، وقد رأينا في النصوص السابقة كيف أخذ الإمام الشهيد نفسه بها في الأداء التعبيري، وفي السطور الآتية نرى كيف أخذ نفسه بها في التصوير البياني وخصوصاً التشبيه، فقد كان يوظف من التشبيهات أنسبها للواقع الاجتماعي والسياسي والمذهبي للبلد الذي يخطب فيه، وقد رأيت ذلك بنفسي عندما زار مدينة المنزلة (دقهلية) مسقط رأسي، والمعروف أنها تعتمد في معاشها على صيد الأسماك والطيور البحرية، والبحارة (بكسر الباء)، أي نقل الركاب والبضائع بالسفن الشراعية في بحيرة المنزلة. كان ذلك في سنة ١٩٤٦م، وكانت سني آنذاك اثني عشرة سنة. وبعد العشاء خطب ألوفاً من البشر على مدى ثلاث ساعات، والناس مقبلون عليه إقبالاً عجباً. انطلق حسن البناء في حديثه، فشبّه الأمة بسفينة: جسمها الشعب، وشراعها الإيمان، ودفنها الحكومة، ودخل الإمام نفوس الناس بهذا التشبيه البيئي"، وأخذ يشرح مقولته مكثراً من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووقائع من السيرة النبوية، وحياة السلف الصالح.

كنت على صغر سني أفهم - بل أعيش - كل كلمة يقولها الرجل العظيم. ولكن الأهم من ذلك هو إحساسي القوي - وأنا مأخوذ بما يقول - بأنه يوجه نظراته وكلماته إليّ دون غيري، ثم اكتشفت - بعد ذلك - أن هذا الشعور نفسه عن كثيرين. فأمنت بأن الرجل قد بلغ مقاماً من "البلاغة الإيمانية" لا يرقى إلى مثله إلا أقل الأقلين، على مدار التاريخ الإنساني كله.

كما كان الإمام الشهيد يحرص على هذه السمة فيما يوظفه من أخبار التراث العربي والإسلامي، فيتخير منه أنسب الوقائع والشخصيات لطوابع المجتمع الذي يخطب فيه. وقد قص عليّ أحد الإخوة من الرعيل الأول للإخوان واقعة حضرها بنفسه وخلصتها:

من المعروف أن حي "بولاق" كان حي "الفنونة والفتوات": فالقوة الجسدية، وقدرة التغلب كانا معيار الأفضلية في هذا المجتمع. وكان لهذا الحي جهاد معروف في مقاومة جنود الحملة الفرنسية، حتى إن "الجبرتي كان يذكره مع القاهرة، وكأنه عاصمة أخرى، فمن عباراته التي تكررت في تاريخه: "وثار أهل القاهرة وبولاق".

كان الإمام الشهيد يعرف هذه الحقائق عن "بولاق" في تاريخها وطوابعها. وفي السرداق الضخم الذي أقيم، وضم الألوفا من أهل بولاق؛ احتفالاً بمناسبة إسلامية، تحدث الإمام الشهيد عن "القوة في الإسلام" وأنواعها، ومنها القوة المادية الجسدية، والقوة المعنوية في الإيمان، وتحدث عن رسول الله (ﷺ) كنموذج للقوة بكل أنواعها، وبلغ من قوته أنه استطاع أن يصرع أشد العرب وأقواهم: ركانة بن عبد يزيد بن هاشم، صرعه مرتين، وأسلم بعدها^(١).

وبهذا المثال استطاع الإمام الشهيد أن يتسلل إلى نفوس السامعين، وبلغ بهم الإعجاب والحماسة أن وقف أحدهم - وهو إبراهيم كروم فتوة بولاق - وأخذ يهتف: "اللهم صلّ على أجدع نبي.. اللهم صلّ على أجدع نبي".

وعن هذا الملمح كتب "جاكسون" عن الإمام الشهيد: "كان قديراً على أن يُحدّث كلاً بلغته، وفي ميدانه، وعلى طريقتة، في حدود هواه، وعلى الوتر الذي يحس به،

(١) قال ابن إسحاق: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يوماً برسول الله (ﷺ) في بعض شعاب مكة، فدعاه رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام. قال ركانة: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال له رسول الله (ﷺ): أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فقم حتى أصارحك، فقام إليه ركانة يصارعه. فلما بطش به رسول الله (ﷺ). أضعجه، وهو لا يملك من نفسه شيئاً. ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، والله إن هذا لعجب. أتصرعني؟! (وذلك لأنه لم يصرعه أحد من قبل). السيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول: ٣٩١.

وعلى الجرح الذي يثيره، ويعرف لغات الأزهريين والأطباء والمهندسين والصوفية، وأهل السنة، ويعرف لهجات الأقاليم في الدلتا وفي الصحراء، وفي مصر الوسطى والعلية، وتقاليدها، بل إنه يعرف لهجات الجزائريين والفتوات، وأهالي بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة.

وهو يستمد موضوع حديثه - أثناء سياحاته في الأقاليم، وفي كل بلد - في مشكلاتها ووقائعها، وخلافاتها، ويربطه - في لباقة - مع دعوته ومعالمها الكبرى، فيجيء كلامه عجباً يأخذ بالألباب. كأن يقول للفلاحين في الريف: "عندنا زرعتان: إحداهما سريعة النماء كالقثاء، والأخرى طويلة كالقطن..."^(١).

â â â

(١) رويبر جاكسون: حسن البناء.. الرجل القرآني ٢٠-٢١.

٢- التصوير البياني

يطلق مصطلح البيان على معنيين:

الأول: معنى أدبي واسع، يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة والإصابة، والوضوح والجمال. وهو بهذا التعيم يجمع فنون البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.

والثاني: معنى علمي محدود، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة، أو المجاز، أو الكناية^(١).

ويعتبر التشبيه من أهم الألوان البيانية وأبلغها، وبلاغته تأتي من قدرته على تحري نفس السامع أو القارئ، وزيادة الفكرة وضوحاً في ذهنه، وجعله قادراً على فهمها وتقبلها عن طريق نقله من الخفي الغامض إلى الجلي الواضح، ومن غير المألوف إلى المألوف، ومن المعروف قليلاً إلى المعروف كثيراً، ومن الذي يُدرك بالعقل إلى الذي يُدرك بالحس.. كما أن التشبيه يعطي المعنى الواحد بأشكال مختلفة عن طريق تشبيهه بهذا مرة، وبذلك مرة أخرى^(٢).

وكان التشبيه بكل أنواعه - وخصوصاً التمثيلي والضماني - من أكثر الألوان البيانية وروداً في أدبيات الإمام الشهيد، وتشبيهاته لا تجنح للتخليق الشارد البعيد، بل تكاد تقترب من الأسلوب الحقيقي؛ لأنه لا يهدف بها إلى التجميل الفني بقدر حرصه

(١) بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ص ٩٩.

(٢) استروبلال: الشامل ص: ٢٨٨ - ٢٨٩: معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م.

على إقناع المتلقين، والوصول إلى نفوسهم لتحقيق أهداف روحية، وأخلاقية، واجتماعية نبيلة، لذلك كانت تشبيهاته تستمد وجودها من الواقع المعيش، يعرضها (رحمه الله) في تبسيط ووضوح. ونكتفي بمثالين تؤيد ما ذهبنا إليه في هذا السياق.

يقول الإمام الشهيد:

"أما بعد، فيا عباد الله، نشاهد فيما بيننا أن أحدنا لو جاءه إعلان من محكمة جزئية بجلسة مدنية في قضية عادية، فإنه يهتم كل الاهتمام بنفسه، ويفكر في شأنه، ويعد لذلك العدة، ويستشير أهل الخبرة، ولا يقر له حال، ولا يهدأ له بال حتى يطمئن على نتيجة تلك القضية التي غاية أمرها، وقصارى شأنها غرم يسير في زمن قصير، ذلك شأننا في هذه القضايا الصغرى، فما بالناس أيها الإخوان نسينا القضية الكبرى، والجلسة العظمى بين يدي الملك الأعلى؟

فاعلموا إخواني - أرشدكم الله - أن الله (تبارك وتعالى) أرسل لكم نبيه سيدنا محمداً (ﷺ) يحمل إليكم إعلان هذه القضية، وينذركم، ويذكر بهذه الجلسة الإلهية، فذلك قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٥، ١٦)، وليس ذلك الإعلان إلا القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾ (ق: ٤٥).

ويمضي الإمام معرّفًا بأجزاء القضية:

- فموعدها هو يوم الفصل...

- ودار المحكمة هي أرض المحشر...

- والشهود هي أعضاء الإنسان.

- ومستنداتها مدونة ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾

(عبس: ١٣ - ١٦).

- والجزاء نعيم الأبد للمحسنين، وشقاء الأبد للمسيئين...^(١).

ومن أبلغ تشبيهات الإمام (رحمه الله) ما نقرؤه في قوله: "إن مثل المسلمين في التخلف، واختلافهم على تحديد المسؤولية عن الفساد، كممثل قوم أقبلوا على دارهم، فوجدوا النار مشتعلة فيها، فأخذوا يتساءلون عن السبب في إشعال النار، فقال أحدهم: إن السبب أنت؛ لأن زوجتك كانت تخبز في فرنها، فطارت شرارة من الفرن، وتسببت في هذا الحريق. والثاني يقول: لا يا أخي ليست زوجتي، بل هو ولدك الذي كان يلعب بقطعة من الورق اشتعلت فيها النار. والثالث يقول: لست أنا، بل هو الذي كان يشرب السجائر، ووقع السيجار في قطعة من القماش فحرقها، وانتشر الحريق منها، وأخذوا يقتتلون فيما بينهم، وكانت النتيجة أن انشغلوا بهدف المناقشات والاختلاف حتى أتت النار على البيوت كلها، ثم لم تلبث أن أتت عليهم، فأكلتهم فيها، فلم تُبق بيوتاً ولا سُكناً"^(٢).

ويقول عبد الحكيم عابدين (رحمه الله): "هكذا يصور لنا الأستاذ البنا المعنى الرفيع، والمغزى العظيم الجليل، فالذي يجب على من يرى النار مشتعلة ألا يفكر فيمن أشعلها، ولا فيمن يكون السبب في إيقادها، وإنما يسرع إلى إناء الماء، ومن لم يستطع فليحمل "صفيحة"، ومن لم يستطع فليحمل "كوزاً" من الماء، ومن لم يستطع فليلق بشيء من التراب على النار. المهم أول ما يعنى الجميع، وأول ما يحركه الإيمان والعقل في نفوس الجميع هو أن يسارع في إطفاء النار، فإذا سلمت البيوت وسلمت النفوس، فعلينا أن نتحاسب فيما بعد، وحبذا لو قلنا: "فمن عفا وأصلح فأجره على الله"، وجعلنا شكرنا لله على نعمة إطفاء الحريق أن نتعاقق، ونتسامح، ونستأنف حياة جديدة كلها حب، وكلها صفاء، وكلها أخوة على طراز الدعوة المثلى التي تسمى دعوة الإخوان المسلمين..."^(٣).

(١) مجلة الإخوان المسلمين، السنة الأولى، العدد ٢، ٢٨ صفر ١٣٥٢ هـ / ٢٢-يونيو ١٩٣٣ م.

(٢) مذكرات عبد الحكيم عابدين (مخطوط).

(٣) السابق نفس الصفحة. هذا، وكان الإمام يلح على هذا المعنى وذلك التصوير، راجع مثلاً مقالاً له بعنوان: "علينا أن نتعاون على إصلاح ما تلف"، ثم نفتش عن المسؤول بعد ذلك، جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد ٦، السنة الخامسة، ١٦ من ربيع الآخر ١٣٥٦ هـ.

والتجسيد أو التجسيم ملمح فني يعني إبراز المعنوي (الذي لا يدرك بحاسة من الحواس الخمس) في صورة حسية. كقولنا: "تحطم اليأس على صخرة الأمل".

أما التشخيص، فيعني أن ينسب للحسي: الجماد والطبيعة ملامح بشرية، كقولنا: "مصر هبة النيل"، أو "إن الأهرامات تروي تاريخ قدماء المصريين".

وقد يجتمع التجسيد والتشخيص في مثال واحد، كقولنا: "إن إيمان الرعيل الأول ينطق بالصدق واليقين"، فالإيمان ظهر هنا في صورة حسية مشخصة.

وهناك من النقاد من يسوي بين التجسيد والتشخيص، فهما يمثلان صورة بلاغية تنزل فيها الأفكار والمعاني منزلة الأشخاص، كما تنسب إلى الجماد والطبيعة صفات بشرية. والمصطلح الإنجليزي هنا مشتق من أصل يوناني، ولا يختلف في معناه عن كلمة Personification، مثل قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٦)، وقول الشاعر:

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد^(١)

ويقول شهيد الإسلام سيد قطب:

"التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.."^(٢)

(١) د. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب: ص ٣٨٩، ٤٤٧، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٤م.

(٢) سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، ص: ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧م.

وقد يكون تقسيم هذه الظاهرة إلى ثلاثة أنواع أدخل في باب الدقة، كما مئناً
آنفاً:

أ- فالتجسيد أو التجسيم هو إبراز المعنوي في صورة حسية غير عاقلة.

ب- والتشخيص هو إبراز الحسي - غير العاقل - في صورة بشرية.

ج- والجمع بينهما يعني إبراز المعنوي في صورة حسية بشرية.

وهذه الظاهرة الفنية في كل أشكالها تنقل "المعروض" من حالته التقريرية أو المغيبة إلى حالة تُرى وتعاش بالبصر والبصيرة بما اكتسبته من نبض وحركة وحياءة.
وقد وظف الإمام الشهيد هذه الظاهرة كثيراً في أدبياته وخصوصاً خطبه، كما نرى في قوله:

"أيها الإخوان المسلمون، أيها الناس أجمعون: في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريعة التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، وفي هذا التيار المتدفق الفيض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر: نتقدم بدعوتنا - نحن الإخوان المسلمين.. هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة.. متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرواسي.. محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعاً... خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب، ولكنها محفوظة بجلال الحق، وروعة الوحي، ورعاية الله..."^(١).

(١) من الخطاب الجامع الذي ألقاه الإمام البنا في الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨هـ/٤ إبريل ١٩٣٩م، بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة. نشر بعنوان "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن" في مجموعة رسائل الإمام: (١٠٧-١٢٢).

وتبرز ظاهرة التجسيم في أرق صورها وأجملها في النص الآتي:

"هبط الإيمان على قلوب المسلمين الأولين من صحابة النبي (ﷺ) كما تهبط قطرات الندى في الصباح الباكر على أكمام الزهرات فتهتز لها، وتتفتح وتستمد منها الجمال والقوة والحياة، وكذلك استمدت قلوب هؤلاء الكرام من دعوة النبي (ﷺ) الحياة والقوة والجمال، وحلا فيها الإيمان، وتغلغل حتى حل منها في الصميم، وملك منها الحبة والشغاف؛ فبهذه الدعوة يهتفون، ولها يعملون، وفي سبيلها يجاهدون، فإن واجههم العذاب في هذا السبيل فهو العذاب الفرات، وإن أريدوا على تركها ثبتوا حتى الممات، وإن فتوا فيها رأيت ما شاء الإيمان من صبر وثبات"^(١).

â â â

(١) مجلة الإخوان المسلمين، السنة الثانية، العدد(٢)، ٢٦ من المحرم ١٣٥٣هـ / ١١ من مايو ١٩٣٤م.

٣- الأسلوب والأداء التعبيري

تحدث ابن منظور عن الأسلوب في معجمه "لسان العرب"، فقال: يقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب. والطريق تأخذ فيه. والأسلوب: الفن. يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه.

"ومن هذا التعريف اللغوي يهمننا ما يتعلق بأسلوب القول، ويمكن أن نلاحظ فيه النتيجة التالية: الأسلوب هو طريقة الأداء، أو الطريقة التي يعتمدها الأديب لنقل ما في نفسه من معانٍ في عبارات لغوية"^(١).

ولابن خلدون كلام طويل في تعريف الأسلوب، أورده في فصل "صناعة الشعر وتعلمه" يقودنا إلى القول بأن الأسلوب صورة لفظية لمعنى ذهني، أي أن الأديب يتصور في ذهنه المعنى أولاً، ثم يترجمه إلى الأسلوب (اللفظ)، دون النظر إلى علم البلاغة أو الإعراب أو الوزن^(٢).

ومن أدق تعريفات "الأسلوب" وأحدثها أنه طريقة يستخدمها الكاتب ليبين رأيه أو يعبر عن موقفه بألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعال في نفس قارئه أو سامعه، فتعرف شخصية صاحب هذا الأسلوب، وتتميز باختياره المفردات، وانتقاء التراكيب لأداء أفكاره حق أدائها.. ومن هنا قالوا:

(١) الشامل: ٩٨.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون: ص ١٠٩٩ - ١١٠٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢)، ١٩٧٩م. وانظر: صلاح فضل. علم الأسلوب: ص ١٠٥ - ١٠٧، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط (٣)، إبريل ١٩٨٨م.

الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما ، والإبانة عن شخصيته المتميزة عن سواها. وهو أنواع، من أهمها:

١- الأسلوب الأدبي: وأبرز صفاته الجمال، وقوة الإيحاء والتأثير، وبراعة الخيال والتصوير، ودقة توظيف المجاز، واختيار الألفاظ ذات الإيحاء والجرس المناسب، مع التدفق العاطفي، وقوة الشعور.

٢- الأسلوب العلمي: ويغلب عليه الطابع العقلي، وتوظيف الحجج العقلية، واستخدام المصطلحات العلمية، والإحصائية، واستعمال التراكيب المباشرة، والألفاظ ذات المدلول الواحد، دون ترميق وخيال.

٣- الأسلوب العلمي المتأدب، أو الوسطي: وهو الذي يجمع بين صفات من الأسلوبين السابقين، ويستعمل غالباً في العلوم الإنسانية كالتاريخ والاقتصاد والتربية والسياسة^(١).

وأسلوب الإمام الشهيد يتسم بالسهولة والوضوح، وهي سمة غالبية في كل أعطيته، كالخطب والمحاضرات والمقالات والرسائل، فلا غريب ولا مهجور من الكلمات، ويستطيع المتعلم العادي - بل العامي - أن يفهمه في سهولة ويسر، ولكنه - على سهولته ووضوحه - لا تجد فيه لفظة مبتذلة أو معنى مستهجنًا.

وإذا كان الوضوح هو السمة المعنوية للأسلوب، فإن الترسُّل هو الصفة الشكلية العامة للأداء التعبيري^(١). فنادرًا ما نجد للسجع مكانًا في أسلوب الإمام الشهيد، ومن هذا القليل النادر:

(١) انظر التونجي: المعجم المفصل في الأدب: ٩٣/١ - ٩٤.

"أيها الإخوان المسلمون، أيها الناس أجمعون:

إن الله بعث لكم إماماً، ووضع لكم نظاماً، وفصل أحكاماً، وأنزل كتاباً، وأحل حلالاً، وحرم حراماً.. فهل اتبعتم إمامه؟ واحترمتم نظامه؟ وأنفذتم أحكامه؟..."^(٢).

وقد يكون مع السجع ازدواج^(٣)، كقول الإمام الشهيد في رسالته إلى الملك فاروق:
"يا صاحب الجلالة.. بؤر الخمر، ودور الفجور، وصلات الرقص، ومظاهر المجون
تغشى الناس في كل مكان..."^(٤).

ومن هذا القبيل قوله:

"والإنجليز يضحكون من غفلتنا، ويعبثون بألباب رجالنا وقادتنا، ويجرّونهم بخيوط
الوعد الزائفة، ومقاود الأوهام الباطلة، حتى يقفوا بهم على حافة هاوية ما لها من
قرار، وينتهوا معهم إلى هذا المصير الذي يجمع بين النار والعار..."^(٥).

(١) الترسل هو صفة النثر المرسل الذي لا يعتني صاحبه بالصنعة من سجع وجناس وازدواج وغيرها، بل ينطلق الأديب على سجيته دون قيود إلا سلامة اللغة وحسن اختيار الكلمات والعبارات، راجع السابق: ٢٤٣/١.

(٢) مجموعة الرسائل: ١١١.

(٣) الازدواج: هو توافق الفاصلتين في الوزن، ولو لم يتوافقا في التقفية. مثل قوله تعالى: ﴿وَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ...﴾ (الناشية: ١٥ - ١٦) لطبانة: معجم البلاغة العربية ٢٦٦.

(٤) نشرتها مجلة النذير في ٨ من المحرم ١٣٥٨هـ، ولم يوردها الإمام الشهيد في مذكراته، أو مجموعة رسائله.

(٥) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، السنة الثانية، العدد ٦١٥، ٢١ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ / ٣٠ إبريل ١٩٤٨م.

وعلينا أن نلاحظ أن صفتي الوضوح والترسل من ألزم الصفات الأسلوبية للداعية، وخصوصاً إذا كان داعية في حجم الإمام الشهيد الذي يقف على رأس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين، ويتحدث إلى طبقات مختلفة في مستواها الثقافي والاجتماعي، كما أن كثرة خطابه الدعوية - كتابة وخطابة - تجعله ينطلق بطريقة عفوية، حيث لا يملك الوقت الذي يمكنه من المراجعة، والإعداد الجمالي النموذجي^(١). ولا يصدق هذا على ما قصد الإمام إلى أن يكون دراسة تتمتع بالعمق، وتحتاج إلى مراجع ومراجعات كالذي كتبه في العقائد والتفسير، والرسائل العامة إلى الملوك والرؤساء والوزراء.

وفي هذا السياق، نلقي نظرة على "الجملة" في أدبيات الإمام الشهيد دون النظر إلى التفصيلات، وزحمة التقسيمات التي يلجأ إليها البلاغيون. وهي على أية حال - لا تخرج من ناحية الكم - عن الأقسام الثلاثة الآتية:

١- جمل طويلة.

٢- جمل متوسطة أو متساوية.

٣- جمل قصيرة.

والجمل الطويلة هي أكثر الجمل استعمالاً في أدبيات الإمام الشهيد، وذلك لسببين: الأول: أنها أقدر من النوعين الآخرين، وأكثر سماحة واتساعاً لاستيعاب المعاني والأفكار. بصرف النظر عن التعميق اللفظي، والتجميل البلاغي. الثاني: أن الهدف الدعوي هو التبليغ والإقناع قبل أن يكون التجميل، والتأثير العاطفي، وهو ما تتسم به الجمل القصيرة ذات الجرس الموسيقي الأخاذ.

(١) في مطلع الخمسينيات - بعد استشهاد الإمام بثلاث سنوات - حكى لي الأستاذ وهبة الفيشاوي أن الإمام كان دائم الانشغال، فكان يملي عليه مقال الصحيفة على دفعات لانقطاع تواصله بالهاتف أو الحديث إلى بعض الإخوان.

ومن نماذج الجمل الطويلة ما نراه في النص الآتي:
"نحن الآن في السابع من المحرم، فنحن إذن في مدخل عام جديد، قرأت في بعض المطالعات لكاتبة إفرنجية كلمة أعجبتني فوعيتها، وما زالت تتمثل أمامي، فيتكرر إعجابي بما فيها من صدق وحق، والحكمة ضالة المؤمن أئى وجدها فهو أحق الناس بها، إنها قالت: قلت للرجل الواقف على باب العام: أعطني نوراً أستضيء به في هذا الطريق المجهول، فقال لي: ضعي يدك في يد الله، فإنه سيهديك سواء السبيل"، وذلك حق؛ فالله (تبارك وتعالى) هو الهادي إلى سواء السبيل ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠)^(١).

ومن الجمل القصيرة الخالصة قول الإمام (رحمه الله): ".. فإذا أَلِفَ الإنسان الجهاد، وعرف طريق الرشاد، وأصبح جندياً مدرباً، ومحارباً للشر مُجَهَّزاً، وواظب على المراقبة والاستشعار، والتوبة والاستغفار، استطاع أن يستشعر الأمر قبل وقوعه، فيتخذ له أهبطه، ويرد على الشيطان مكيدته.."^(٢).

وبهذا الأسلوب الذي راعى فيه الإمام الشهيد مقتضى الحال، مستمداً من طاقته الإيمانية، وثرائه اللغوي، وقدرته على التصرف، وبراعته في الانتقاء والاختيار.. استطاع الإمام الشهيد أن يصل إلى قلوب الناس وعقولهم مستميلاً مقنعاً.

â â â

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، السنة الثانية، العدد ٤٧٧، ٨ من المحرم ١٣٦٧هـ / ٢١ من نوفمبر ١٩٤٧م.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، السنة الأولى، العدد ٢٤، ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ / ٣١ مايو ١٩٤٦م.

٤- براعة التمثيل والاستشهاد

مما قاله أبو هلال العسكري عن الاستشهاد: وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى. وهو أن تأتي بمعنى، ثم تؤكد بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته^(١).

فالاستشهاد يعني: وضع برهان على لغة أو فكرة، لتأكيد ما ذهب إليه، وإثباته بالحجة، وهو نوعان:

١- الاستشهاد في اللغة: ويكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوق دليل من القرآن أو الحديث، أو الشعر. واشتروا للاستشهاد أن يكون الشعر من عصر الاحتجاج الذي يمتد حتى سنة ١٥٠هـ، أو إضافة قرن آخر إن كان الشاعر أو العربي عاش في قلب البادية، ويدخل في ذلك القرآن والحديث والشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، وشعر العصر الأموي، ومطلع من العصر العباسي بلا استثناء إلا من عدم عروبية الشاعر. وإذا لم يكن الشاعر من عصر الاحتجاج دعي الشاهد "مثالاً للاستئناس لا للبرهنة: كشعر المتبني والمعري.

٢- الاستشهاد في الأدب: ويكون بسوق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها، ولا يشترطون بها زماناً، كمن يستشهد بشعر الطيف من البحري، أو الصنعة من أبي تمام، أو الفلسفة من المعري^(٢).

ولكن الاستشهاد أوسع مدى من هذين النوعين، فيمكن أن يوظف للاحتجاج لقضية فكرية، أو دينية، أو سياسية، أو تاريخية، وغير ذلك من الأفكار والمعاني،

(١) طبائفة: معجم البلاغة العربية، ص ٣١٤.

(٢) التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ٨٥/٢ - ٨٦.

وفي هذا الاتجاه - كما هو واضح - تحرر - إلى حد كبير - من حرفية المفهوم الاصطلاحي للاستشهاد.

وكان الإمام الشهيد (رحمه الله) من أكثر الدعاة والمفكرين توظيفاً للشواهد التراثية، فكثرت في خطبه ومقالاته ورسائله ودراساته الشواهد من القرآن والسنة، والشعر والحكم والأمثال، وأقوال السلف الصالح، والوقائع التاريخية.

وإكثاره من الشواهد يرجع إلى عدد من الأسباب، أهمها:

١- قوة ذاكرته، وقوة حافظته، وقدرته على الاستعادة، واجترار المخزون الفكري والأدبي.

٢- الذوق الرفيع، مما يمكنه من اجترار الشاهد المناسب، ووضعه في مكانه المناسب.

٣- قوة عاطفته الدينية، دفعته على أن تحتل الشواهد القرآنية المكانة الأولى من ناحية الكم. وإيراد كثير من شعر الحكمة والعقيدة والأخلاقيات.

فأغلب شواهد الإمام شواهد نصية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ونلمس ذلك بوضوح في رسالة "نحو النور"، فالشواهد القرآنية فيها قرابة أربعين آية، وما لا يقل عن عشرة أحاديث، وقد جاءت كلها في موضعها من السياق لتأكيد عظمة التشريع الإسلامي في مجالات السياسة والحكم والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والدولية^(١).

وهذا الالتزام بالشواهد القرآنية، لم يكن جديداً على الإمام الشهيد، بل كان خطأً منهجياً له وجوده المتميز ابتداءً من خطبه ومقالاته ورسائله الباكورة، كما نرى

(١) رسالة نحو النور: ٦٩ - ٩٤، من مجموعة رسائل الإمام الشهيد. وانظر كذلك رسالته إلى مصطفى النحاس في ١٤/٦/١٩٣٦م، مذكرات الدعوة والداعية: ٢٩٣ - ٢٩٤.

في مقاله (حقيقة الإيمان بالله)^(١)، فقد استشهد بالآيات في سبعة مواقع، على قصر المقال. وقريب منه في ذلك مقاله (منزلة الصلاة)^(٢). غير الخطب التي تتوافر فيها هذه السمة، وهي أكثر من أن تحصى.

ومن ثم نعتقد أن "روبير جاكسون" لم يسرف حينما وصف الإمام الشهيد بأنه "الرجل القرآني". وأعتقد أن من أهم أسباب هذا الإطلاق:

١- دعوة حسن البناء إلى اتخاذ القرآن دستوراً بدلاً من القوانين الوضعية.

٢- سلوكه القرآني في أخلاقياته، وسياسته، وتعامله مع الآخرين.

٣- إكثاره من الشواهد القرآنية، في خطبه ومقالاته ورسائله.

ولا شك أن الشاهد القرآني يقوي المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين. والنص القرآني شاهد يورده الإمام (رحمه الله) في صورتين:

١- الصورة الأولى: أن يرد مستقلاً لتقوية الفكرة، أو توضيحها، وهذا هو الغالب في هذا المجال.

٢- الصورة الثانية: أن يرد منسباً في السياق كأنه جزء أصيل أساسي منه، مضيفاً جديداً في الفكرة أو الصورة. كما نجد في السطور التالية:

"..ألا وإن الموعد يوم الفصل ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبا: ١٧ - ٢٠).

ألا وإن دار المحكمة هي أرض المحشر، وصعيد المنشر ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ١٣، ١٤).

(١) مجلة الإخوان المسلمين، السنة الأولى، العدد ٦، ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٢هـ / ٣٠ من يوليو ١٩٣٣م.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين، العدد ٢١، ١٨ جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ.

ألا وإن شهودك منك، وبينتك فيك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٤، ٢٥).

ألا وإن مستنداتها مدونة ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١٣ - ١٦).

.... ألا وإن الجزاء نعيم الأبد للمحسنين، وشقاء الأبد للمسيئين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرَمَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ * خُدُوهُ فَعُلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: ١٩ - ٣٢)^(١).

وينهج الإمام الشهيد النهج نفسه في التعامل مع شواهد الحديث الشريف، فهو قد يؤيد الفكرة ويقويها بحديث نبوي مباشرة، ولكن يأتي غالباً بعد إيراد آية أو آيات قرآنية تقوم بهذه المهمة. ومثال ذلك - والإمام يتحدث عن موازنة الإنفاق والدخل - يورد قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩).

وبعدها يورد قول رسول الله (ﷺ): "ما عال من اقتصد" (رواه أحمد)، وقوله: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" (رواه البيهقي)^(٢).

(١) جريدة الإخوان المسلمين، السنة الأولى، العدد ٢، ٢٨ من صفر ١٣٥٢هـ / ٢٢ من يونيو ١٩٣٣م.

(٢) من رسالة نحو النور، مجموعة رسائل الإمام الشهيد، ص ٨٢.

وقد يورد الإمام الشهيد الحديث مستقلاً لتقوية الفكرة وتأكيداً لها، من دون أن يكون تالياً لآية قرآنية. من ذلك ما كتبه الإمام الشهيد:

".. فقد أخذ الله الموثق على أهل العلم، وورثة الكتاب أن يبينوه للناس ولا يكتموا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفشاء النصيحة من لب هذا الدين وصميمه، ونادى بها رسول الله (ﷺ)، فقال: "يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجاب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً، ولا يقرب أجلاً"^(١).

وقد يكون قريباً من الاستطراد أن نشير في هذا المقام إلى أن الإمام الشهيد كان له وقفة متأنية أمام عدد من الأحاديث النبوية، أغلبها من "جوامع الكلم". ومن هذه الأحاديث:

- المرء كثير بأخيه.
- لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه.
- المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم.
- اليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول.
- الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.
- ما أملق تاجر صدوق.
- ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.
- يحمل هذا العلم من كل خلف عدوُّه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

(١) جريدة "الإخوان المسلمون اليومية"، السنة الأولى، العدد ١٢، ١٦ جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ / ١٧ من مايو ١٩٤٦م.

وما قام به الإمام الشهيد في تعامله مع هذه الأحاديث - وهناك غيرها - يتلخص فيما يأتي:

١- توضيحها، وذكر مناسباتها، وشرحها شرحاً موجزاً.

٢- توثيقها، وبيان مدى صحتها مثلاً وسنداً.

ووراء هذا العمل الكبير دافع قوي ذكره الإمام الشهيد في مطلع مقاله، خلاصته أن هذه الأحاديث - ومعها غيرها - وردت في مذكرة الأدب العربي المقررة على طلاب السنة الأولى من كلية الحقوق، وقد طُلب منه أن يتناولها ببعض الشرح تسهيلاً على حضرات الطلاب، وإفادة لحضرات القراء. وختم هذا التقديم بقوله: "... ورجاؤنا إلى حضرات المربين الكبار أساتذة الأدب بالكلية أن يعتمدوا في نقل الأحاديث على كتبها المعتمدة الفنية، ففيها الكثير الطيب مع الطمأنينة إلى صحتها وحجيتها، وأما ما يذكر في كتب الأدب من ذلك ففيه نظر؟"^(١).

وفي تضاعيف الشرح ترى الإمام الشهيد يورد عدداً كبيراً من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، والشواهد الشعرية، والوقائع التاريخية.

كما نبه - في مقدمته - إلى أهم ملمح من ملامح المنهج العلمي، وهو الاعتماد على المصادر الأصيلة للمادة العلمية لا على المراجع الوسيطة.

ومن الشواهد كثير من أقوال الصحابة والسلف الصالح، ففي سياق حديثه عن إنسانية القتال في الإسلام يستشهد بوصية أبي بكر (رضي الله عنه) لجيشه، وفيها يقول:

"لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمتلوا، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا طفلاً، ولا امرأة، ولا شيخاً كبيراً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بغيراً إلا للأكل، وستمرون على قوم ترهبوا في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"^(٢).

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، السنة الثالثة، العدد ٣، ٢٧ المحرم ١٣٥٤هـ/ ٣٠ إبريل ١٩٣٥م.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين، السنة الرابعة، العدد ٥، ٢١ صفر ١٣٥٥هـ/ ١٢ مايو ١٩٣٦م.

ومن أقوال السلف ما قاله ابن عطاء الله السكندري:

يخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه تعالى هو المبتلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي أشهدك حسن الاختبار"^(١).

وما قاله أبو يزيد البسطامي:

"المتقي من إذا قال قال لله، ومن إذا عمل عمل لله"^(٢).

وقال سهل بن عبد الله:

"لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسوله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه"^(٣).

ويورد الإمام الشهيد بعض أقوال العلماء الغربيين في مدى قدرات العقل، وما وصل إليه. ومن هؤلاء: جوستاف لوبون، ودارون، ووليم جيمس، ووليم كروكس، وكاميل فلامريون، وأندرية كريسون"^(٤).

ومن الشهادات المنصفة للإسلام وللرسول (ﷺ) قول جورج برنارد شو:

"ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل كمحمد يحل مشكلته القائمة المعقدة، بينما يتناول فنجاناً من القهوة"^(٥).

(١) جريدة الإخوان المسلمين، السنة الرابعة، العدد ١٤٤، ٢٥ من ربيع الآخر ١٣٥٥هـ / ١٤ من يوليو ١٩٣٦.

(٢) من تفسير الشهاب، الكتاب الثاني "من تراث الإمام البنا (التفسير)": ٢٥٩ - ٢٦٠، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٤) انظر: المرجع السابق: ص ٨٦ - ٩٠.

(٥) رسالة "نحو النور"، ص: ٧٢.

ويستشهد الإمام الشهيد بكثير من الوقائع التاريخية وخصوصاً في مقام تفسيره للقرآن. وهو يقصد بإيراد مثل هذه الوقائع إلى تحقيق ما يأتي:

١- تأكيد المضمون القرآني والمعطيات الإسلامية في مجال العقيدة والسياسة والمجتمع والأخلاق.

٢- إثارة المشاعر الدينية، واستنهاض المسلمين لإثبات وجودهم، ونيل حقوقهم، واحتلال المكانة اللائقة بهم، وذلك بربط الحاضر المعيش - وهو حاضر منكسر مقهور - بالماضي المجيد في عهده الزاهية المنتصرة.

فبعد تصديره واحداً من مقالاته^(١) بقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢، ٧٣).

يقدم الرواية الآتية:

في عهد مضى أعاد الله علينا دولته؛ قال الراوي: "دخلت القسطنطينية تاجراً في عهد عمر بن عبد العزيز، فأخذت أطوف في بعض سككها حتى انتهى بي المطاف إلى فناء واسع، رأيت فيه رجلاً أعمى، يدير الرحى وهو يقرأ القرآن، فعجبت في نفسي، في القسطنطينية رجل أعمى يتكلم العربية، ويدير الرحى، ويقرأ القرآن!! إنه لنبأ!! فدنوت منه وسلمت عليه بالعربية، فرد السلام، فقلت: من أنت يرحمك الله؟ ما نبؤك؟ فقال: أسير من المسلمين أسرني هذا الرومي، وعاد بي إلى بلده، ففقاً عيني، وجعلني هكذا أدير الرحى، حتى يأتي أمر الله. فسألته عن اسمه وبلده وقبيلته ونسبه، وما كان لي من عمل حين عدت قبل أن طرقت باب أمير المؤمنين، وأخبرته الخبر، فاحتقن

(١) المقال بعنوان "واعمره.. وامتصماه"، جريدة الإخوان المسلمين اليومية، السنة الثانية، العدد ٦٠٩،

١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ / ٢٣ من إبريل ١٩٤٨م.

وجهه، واحتدم غضباً، ودعا بدواة، وكتب إلى ملك الروم: "قد بلغني من الآن كذا وكذا، وإنكم بذلك قد نقضتم ما بيننا وبينكم من عهد: أن تسلموا كل أسير من المسلمين. فوالله الذي لا إله إلا هو لئن لم ترسل إليّ بهذا الأسير لأبعثن إليك بجنود يكون أولها عندك، وآخرها عندي.

ودعا برسول فسلمه الكتاب، وأمره ألا يضيع وقتاً في غير ضرورة حتى يصل، ودخل الرسول على ملك الروم، وسلمه الكتاب، فاصفر وجهه، وأقسم أنه ما علم من أمر هذا الأسير شيئاً. وقال: لا نكلف الرجل الصالح عناء الحرب، ولكننا نبعث إليه بأسيره معززاً مكرماً. وقد كان".

وفي بيان بليغ أسر يربط الإمام الشهيد هذه الواقعة بنكبة فلسطين، فيختم مقاله بالكلمات المتوهجة الآتية:

"أيها العرب والمسلمون، لم تعد المسألة مسألة أسير ولا أسيرة، ولكنها أصبحت أكبر وأضخم، وأجل وأعظم، إنها قضية الحياة والشرف والكرامة والوجود لشعب بأسره، احتضنته الأمة العربية كلها، وتظاهرت على نصرته جهود العالم الإسلامي في أقطار الأرض، ثم هي قضية مستقبل الأرض المباركة والمسجد الأقصى، ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

فاذكروا فظائع اليهود الوحشية في قرية دير ياسين، وقرية ناصر الدين، وقرية أبو زريق.. وقرية ساريس، ثم اذكروا كيف إحدى عواصم فلسطين الثلاث، واذكروا ما بعدها إن ظللت قاعدين، ثم انظروا ما أنتم فاعلون؟ ولا يكن حظكم من الانتصار لهذه المواطن الذبيحة أن تصيحوا: "واعمرأه.. وامعتصماه.."^(١).

(١) جريدة الإخوان المسلمين، السنة (٢)، العدد ٦٠٩، ١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ / ٢٣ إبريل ١٩٤٨م.

ويكثر الإمام الشهيد في تضاعيف خطبه ومقالاته ورسائله من الشواهد الشعرية التراثية أغلبها الغالب يرد صريحاً، وقلة قليلة تأتي على سبيل التلميح^(١). كما نرى في ختام رسالته إلى رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي في ٥ / ١ / ١٩٤٧م^(٢).

"وأقدم، ولا تتردد، فتفلت الفرصة السانحة، ونعود من جديد إلى التجارب القاسية، ونستبين النصح ضحى الغد.."، فالجملة الأخيرة تلميح إلى قول الشاعر:

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلى ضحى الغد^(٣)

ولكن الغالبية العظمى من الشواهد الشعرية تأتي صريحة مباشرة، فمنها ما يورده للتوضيح اللغوي، والاحتجاج للمعنى، كالاحتجاج للتقوى بمعنى الحماية ببيت أبي حية النميري:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومغصم^(٤)
وللصلاة - بمعنى الدعاء - بقول الأعشى (ميمون بن قيس):

تقول بنتي وقد قرّبتُ مرتحلاً يا رب جنبّ أبي الأوصاب والوجعاً
عليك مثل الذي صليتِ فاغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً^(٥)

(١) التلميح - اصطلاحاً - يعني: الإيماء المباشر أو غير المباشر - في الشعر والنثر - إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل، انظر معجم البلاغة العربية: ٦٢٠ - والمعجم المفصل في الأدب: ٢٨١/١.

(٢) انظر نص الرسالة في: "الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ"، لمحمود عبد الحليم: ٣٨٧/١ - ٣٨٩.

(٣) البيت لدريد بن الصمة، استشهد به علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) انظر: نهج البلاغة: ٢٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦م.

(٤) البيت لأبي حية النميري، وانظر ص ٢٨٩ من الكتاب الثاني من سلسلة تراث الإمام البنا وعنوانه (التفسير).

(٥) انظر السابق: ٢٦٧.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ (الرعد: ٣) يقول الإمام البنا:
الرواسي: الجبال الثوابت، وهي جمع راسية، والإرساء: الثبوت. قال جميل:

أحبها والذي أرسى قواعدهُ حتى إذا ظهرت آياته بطننا
وأنشدوا من قول زيد بن عمرو بن نفيل:"

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً
دحاهما فلما استوت شدَّها بأيدي وأرسى عليها الجبالاً^(١)

وقد يسوق الأبيات التي تمثل واقعة تاريخية، من ذلك أن قريشاً نقضت عهدها بعد
الحديبية، واعتدى حلفائها من بني بكر على حلفاء رسول الله (ﷺ) من خزاعة،
فناصرتهم وأزرتهم ولم تزجرهم ولم تردعهم، فانطلق عمرو بن سالم الخزاعي إلى
رسول الله (ﷺ) يستنصره، وأنشد بين يديه الأبيات التالية:

يارب إنني ناشدُ محمداً حلفاً أبينا وأبيه الأثلاًداً
قد كنتم ولداً وكننا والداً ثمّت أسلمتاً فلم ننزع يداً
فانصر هداك الله نصراً اعتداً وادعُ عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجرداً إن سيم خسفاً وجهه تريداً
في فيلق كالبحر يجري مزيداً إن قريشاً خلفوك الموعداً
ونقضوا ميثاقك المؤكداً وجعلوا لي في كداء رصداً
وزعموا أن لست أدعو أحداً وهم أذل وأقل عدداً
هم بيئوننا بالوتير هجداً وقتلوننا ركعاً وسجداً

(١) مجلة المنار، العدد (٧) من المجلد ٣٥، ربيع الأول ١٣٥٩هـ / إبريل ١٩٤٠م. وانظر ص ٣٨١ من
كتاب (نظرات في كتاب الله)، تحقيق: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة
٢٠٠٢م.

فقال رسول الله (ﷺ): "لا نُصِرْتُ إن لم أنصُرْكُمْ"، وتجهز سنة ثمانٍ من الهجرة، وكان فتح مكة^(١).

وفي سياق تفسيره للآية الثانية من سورة الرعد ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد: ٢) يورد أربعة عشر بيتاً للشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت، تفيد الاستدلال على قدرة الله، وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد، بدأها بقوله:

إلى الله أهدي مدحتي وثنائياً
وقولاً رضياً لا يني الدهر باقياً
وختمها بقوله:

فرب العباد ألقى سيباً ورحمةً
عليّ وبارك في بني ومالي^(٢)
ويورد في كتاباته من الشواهد الشعرية ما يدل على حب الوطن والاعتزاز به. فظل عالماً بحافظته ما كانت الجماهير تردده - في قوة وحماسة - من أناشيد في ثورة ١٩١٩م، وكان هو في الثالثة عشرة من عمره. ومنها:

حب الأوطان من الإيمان
وروح الله تنادياً
إن لم يجمعنا الاستقلال
ففي الفردوس تلاقياً
ويرد هذا الشعور النبيل إلى أصل تراثي إسلامي، "فحب المدينة لم يمنع رسول الله (ﷺ) - بعد الهجرة - من أن يحن إلى مكة، وأن يقول لأصيل - أحد الصحابة، وقد أخذ يصفها -: "يا أصيل دع القلوب تقر". وأن يجعل بلالاً يهتف من قرارة نفسه:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلاً
بوادٍ وحوالي إذ خرّ وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة
وهل يبدون لي شامةً وطفيل^(٣)

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد ١٧٠، السنة الخامسة، ١٢ من ذي القعدة ١٣٦٦هـ / ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٧م، وانظر تليمة، السابق: ٢٤٨.

(٢) انظر الكتاب الثاني من تراث الإمام البنا (التفسير) ٩٣ - ٩٤.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد: ٢٥.

ولكن يأتي الإسلام في المرتبة الأولى قبل الوطن، فإن شئت فقل: إن الإسلام وطن، وقومية وجنسية، ومن هذا المعتقد يولد الاعتزاز بالدين والتمسك به تمسك اعتزاز وعمل.

ويوظف الإمام الشهيد من الشواهد الشعرية ما يؤيد ذلك ويدعو إليه: "فقد فضّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبهم إلى الله (تبارك وتعالى)، ويجعلوا أساس صلاتهم، ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة، فينادي أحدهم صاحبه:

لا تدعني إلا بيأ عبداً فإنه أشرفُ أسمائي

في حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه: "أتميمي هو أم قيسي؟":

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

والظلم ظلمات، والرضاء بالظلم والتسليم له جريمة لا تقبل بشاعة عن جنابة الظالم.

ويستشهد الإمام بهذا البيت القديم:

نفلق هاماً من رجالٍ أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً

فإذا عجز المظلوم عن دفع الظلم، فعليه أن يهاجر إلى حيث يجد العدل والأمن في

كرامة وعزة نفس، وفي ذلك يقول الشاعر القديم:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتنيها خرجت مع البازي عليّ سواداً^(١)

ويرى الإمام الشهيد أن المرأة يجب أن تُهدّب وتُعدّد وتهيأ لتكون زوجة وأماً قبل كل

شيء. ويسوق وصية أبي العلاء المعري في هذا المقام:

علموهن الغزل والنسج والرّد ن وخلصوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص تجزي عن يونس وبراءة^(٢)

ويعلق الإمام على هذين البيتين بقوله: "ونحن نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد

ما يريد أولئك المغالون المفرطون في تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات،

(١) مجموعة الرسائل: ٣٥٣.

(٢) السابق: ٢٩٩، والردن: صناعة الملابس.

ولكنا نقول: علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها: تدبير المَنْزِل، ورعاية الطفل^(١).

فالحمد المعقول في شأن المرأة هو حد الوسط - بلا تفريط أو إفراط - أو هو - بتعبير آخر - ترتيب أولويات.

ويكثر الإمام الشهيد من شواهد الشعر القديم والحديث ما يستبطن أخلاق الناس وطباعهم، ومنها:

- | | |
|------------------------------|--|
| لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها | ولكن أخلاق الرجال تضيق ^(٢) |
| وشا في الناس من نزعات شرّ | كشاف من طبائعها الذئاباً ^(٣) |
| وزهدني في الناس معرفتي بهم | وطول اختباري صاحباً بعد صاحب |
| فلم تُرني الأيامُ خلاً تسرني | مبادئه إلا ساءني في العواقب ^(٤) |

وغير ما يورده الإمام من شعر حسان بن ثابت والمتنبي والبوصيري^(٥) نراه يتمثل كثيراً بشعر أحمد شوقي، مثل قوله:

- | | |
|------------------------------|---------------------------------------|
| ولد الهدى فالكائنات ضياءُ | وفمُ الزمانِ تبسُّمٌ وسناءُ |
| الروح والمأ الملائك حَوْلُهُ | للدين والدنيا به بشراء ^(٦) |

(١) السابق، نفس الصفحة.

(٢) مجموعة الرسائل: ١٦٨.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية: ١٧٤.

(٤) مجموعة الرسائل: ص ٣٥٢.

(٥) انظر الكتاب السادس من سلسلة "من تراث الإمام البنّا" (المناسبات الإسلامية)، ص ١٥٩، ١٦٥، ١٥٢ (بالترتيب).

(٦) مجلة الإخوان الأسبوعية، السنة السادسة، العدد ١٨٤، ٢٠ من ربيع الأول ١٣٦٧هـ / ٣١ يناير ١٩٤٨م.

وقوله:

والحق والإيمان إن صُباً على برد ففيه كتيبة خرساء^(١)

وقوله:

ولا أزيدك بالإسلام معرفةً كل المروءة في الإسلام والحسب^(٢)

ومن فضول القول أن ننبه إلى أن الإمام المرشد لم يورد هذه الشواهد مجردة، ولكن ساقها مرتبطة بوقائع ومناسبات ومواقف، فجاءت في السياق متوافقة دون تعمّل أو تعسف وتكلف، وذلك لتأكيد المضمون، وتقويته، والإقناع به، وقد تضيف إلى المضمون أفكاراً جديدة لم ترد في السياق، وتبقى دلالتها الذاتية واضحة، وهي قوة حافظلة الإمام الشهيد، وسعة اطلاعه، وحضور بديهته، وحماسته لموضوعاته، واعتزازه بالتراث الأدبي.

â â â

(١) السابقة، السنة الثانية، العدد (٢)، ٢٦ من المحرم ١٣٥٣هـ / ١١ من مايو ١٩٣٤م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

٥- العاطفة

العاطفة: هي الحالة الوجدانية للمبدع من فرح وحزن وحب وكراهية، وتفاضل وتشاؤم وغيرها، وهي عنصر أسلوبى مهم جداً، يحس دون أن يشرح، أو يعرض عرضاً مباشراً صريحاً، وهي الدافع والباعث وراء كل إبداع.

ويستدل على قوتها من براعة الأسلوب وقوة الخيال وجمال الصور واستخدام اللفظ المناسب، ومناسبته لمعناه، يضاف إليها في الشعر الموسيقى والقافية والبحر. أي أن قوة العاطفة تظهر في كل شيء من عمل الأديب^(١).

وفي أغلب أدبيات الإمام نحس بعاطفة قوية مشتركة هي عاطفة الاعتزاز بالإسلام، والإيمان المطلق بقيمه ومبادئه ومعانياته، وكثيراً ما نحس بهذه العاطفة حارة متوهجة، كما نرى في النص التالي:

".. يا قومنا هلموا إلى منهج الحق، وطريق الهداية، ولسان الصدق، والصراط السوي الذي إن اتبعتموه لن تضلوا بعده أبداً، فإن أبيتم إلا أن تتخبطوا في دياجير الحيرة، وتضيعوا الوقت في التجارب الفاشلة، والمناهج القاتلة، فإن الله سيقبض منكم، وسيأتي بمن ينفذ منهجه، ويسير على كتابه غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، وما أقول لكم إلا ما قال النبي صالح من قبل: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه: ٩٠)^(٢).

(١) انظر الشامل: ٥٨٥. وكذلك: الأسلوب لأحمد الشايب: ٥٢، مكتبة النهضة المصرية، ط(٨)، القاهرة، ١٩٨٨م. هذا، ويفرق علماء النفس وبعض النقاد بين العاطفة والانفعال والشعور تفريقاً لا يخلو أحياناً من تعسف وحدة واقتعال.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد ٣١، السنة الأولى، ٢٢ ذو القعدة ١٣٥٢هـ / ٨ من مارس ١٩٣٤م.

ورسائل الإمام - العامة والخاصة - هي أشحن أديباته وأعمرها بالعاطفة، لذلك نرى أن نقف أمامها وقفة متأنية:

أغلب هذه الرسائل - كما رأينا - يرتبط بموضوعات ذات علاقة قوية بالدين والمجتمع، والقضايا العربية والمصرية. ومن ناحية أخرى يرتبط أغلبها بمناسبات تاريخية محددة، كواقعة أو وقائع تشغل شريحة زمنية معينة، وإن استطاع الإمام البنا أن يخرج "بالعلاج الخاص" إلى حدود أوسع حتى يصبح العلاج علاجاً "نووعياً" في أقطار النفس والمجتمع والسياسة.

وهذه المقولة تقودنا إلى حقيقة مؤكدة، وهي أن وراء هذه الرسائل نوعين من الدوافع:

النوع الأول: دوافع عقلية متزنة، اعتمدت على دراسة الواقع وما فيه من استقامة أو سقوط وانحراف، فهي دراسة تقوم على استقراء الحسني المشهود، ومقارنته بالمطلوب المنشود، وهذا "المطلوب" - مهما قيل في مثاليته - لا يخرج عن "دائرة الممكن"، فهو - وما دار في فلكه - ثابت الوقوع في عهد النبوة والخلافة الراشدة.

والنوع الثاني: دوافع نفسية عاطفية يمكن إجمالها في الغيرة على الإسلام والقيم والوطن والأرض العربية والإسلامية، والخوف من انحراف الأمة، وخصوصاً شبابها، والغضب لانتهاك حقوقها.

وكلها عواطف لا يتخلى عنها شعور التفاؤل والتفتح والطموح إلى تحقيق أمل يداعب النفوس والقلوب والعقول.

هذا هو الخط الشعوري الذي يسري في أعطاف هذه الرسائل، ولكن هذا الخط - في رسمه البياني - لا يأخذ اتجاهاً مستقيماً دائماً، بل نراه يتمتع بحظ من الارتفاع والانخفاض الانفعالي بنسب مختلفة، وهو في الحالات محكوم بقاعدة المصدقية دون

تزييف أو مغالاة وشطط وإسراف، مع مراعاة مقتضى الحال بمفهومها الشامل: بالنسبة للموضوع، والشخصية، والموقف، والمركز الاجتماعي، والجو المهيمن على الساحة آنذاك.

وقد شرحنا "مقتضى الحال" أو الاعتبار المناسب من قبل.

وفي مجال عرض المبادئ والقضايا، وشرح المفاهيم، وتشخيص الأدواء، وتقديم العلاج والحلول من نافذة الإسلام، كما ترى في رسالة "نحو النور" الموجهة إلى الملوك والرؤساء، وذوي المكنات، تدعوهم إلى أخذ نفوسهم وشعوبهم بالقيم والأخلاقيات الإسلامية، وتحكيم الإسلام في كل مجالات الحياة، نعيش مع أسلوب تغلب عليه طوابع الأسلوب العلمي بما فيه من مباشرة ووضوح وتقسيم وتصنيف، وترقيم، واستخدام المصطلحات العلمية والشرعية والسياسية بلا إسراف، في هذا المجال تتحى العاطفة من السياق ليهيمن الطابع العقلاني، معتمداً على ركيزتين:

الركيزة الأولى: الاستقراء النصي: وذلك بحشد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتدعيم المقولات والأحكام التي يسوقها الكاتب.

والركيزة الثانية: الاستقراء التاريخي للوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية، والسنن الكونية، واستخلاص النتائج والدروس والعبر منها دون تعسف أو افتعال.

فالإقناع هنا هو المطلب الأساسي في مثل هذه الرسالة، ومخاطبة العقل هنا أجدى من مخاطبة العاطفة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع من ناحية، وطبيعة المخاطبين به من ناحية أخرى، فهم في بسطة من العقل والثقافة والحنكة والدربة والمكانة الاجتماعية والسياسية، فلا عجب إذن أن يأتي توهج العقل والفكر أقوى من حرارة العاطفة والشعور.

وهذا الطابع واضح في رسالة نحو النور - كما ذكرنا - ورسالة المرشد إلى الملك فؤاد لصد تيار التبشير، ورسالته إلى رئيس الوزراء محمد نسيم، ووزير أشغاله من أجل بناء مسجد البرلمان، ورسالته إلى عمر طوسون والأنبا يونس من أجل فلسطين، ورسالته إلى عليّ ماهر في كيفية توجيه المعونة للمحتاجين، ورسالته إليه عند قيام الحرب العالمية الثانية.

وقد يسري في أعطاف بعض الرسائل شعور بالتقدير والتوقير والتبجيل والتعظيم ينعكس في عبارات من الثناء والتقريظ، مع تبرير هذا الشعور وتقديم مسوغاته، كما نرى في بعض عبارات الرسائل الموجهة إلى كل من الأمير عمر طوسون، والأنبا يونس لحرصهما على العمل الإنساني المقدم إلى ضحايا العدوان الأجنبي من الأحباش، ومصطفى النحاس حين أشاد بالصراحة والتعاون والإخلاص، ودعوته الأمة إلى التعاون الجاد الصادق مع الحكومة.

وقد تتداعى المشاعر فتزد معلة بلا تناقض: ففي مقام الثناء والإشادة بجهود الأنبا يونس وعمله الإنساني وشعوره الأبوي تفيض رسالة الإمام بالأسى والنقمة على الصهاينة الذين صبوا عدوانهم على أهل فلسطين "فخرّبت ديارهم، وعطلت مصالحهم، وقضيت على موارد رزقهم"، ويحاول اليهود بعملهم هذا أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التي أجمع المسلمون والمسيحيون على تقديسها وإكبارها والذود عنها^(١).

وفي بعض الرسائل تملو نبرة الغضب فتكتسي ثوب التهديد، كما نرى في رسالة المرشد الشهيد إلى السفير البريطاني في ٢ من نوفمبر ١٩٣٧م، فيقول: إن الإخوان "مُضْطَرُونَ إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة.."، وتبلغ هذه النبرة القوية أعلى درجاتها حين يقول الإمام ضمن ختام الرسالة: "لا بد من الانفجار يوماً للشعور المكبوت.."^(٢).

(١) انظر مذكرات الدعوة والداعية: ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) انظر السابق: ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

وتتوهج عاطفة الغضب ممزوجة بالحزن والأسى في رسالة التصوير المأساوي الواقعي لمجتمعنا، تلك الرسالة التي وجهها الإمام الشهيد إلى الملك فاروق، وقد انعكست هذه المشاعر في جمل قصيرة حادة، جاءت كأنها أحكام إدانة حاسمة للحكام والمسؤولين الكبار عن المجتمع المصري: "حدود الله معطلة.. أحكامه مهملة.. بؤر الخمر، ودور الفجور، وصلات الرقص، ومظاهر المجون تغشى كل مكان".

ثم تنتهي الرسالة بهذا الأمر القارع الصاخ: "قلها كلمة منقذة، وأصدره أمراً ملكياً ألا يكون في مصر المسلمة إلا ما يتفق مع الإسلام"^(١).

وفي فلك هذا الشعور تدور الرسالة الثانية الموجهة إلى صدقي باشا - رئيس الحكومة - في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٦م، بعد أن غدر بالشعب، ومالاً المستعمر، ولم يف بما وعد. ويتضح هذا الشعور الدافق الغاضب في مثل العبارات الآتية:

"..ولكن حكومة دولتكم أصرت إصراراً عجيباً على موقفها الضعيف المتخاذل، وأخذت تكبت شعور الهيئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات...".

"..وقد تضامنتم بقصد أو بغير قصد - مع الغاصبين في الاعتداء على استقلال الوطن وحرمة..".

"..وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدر منكم على سلوك النهج القويم"^(٢).

وكان آخر ما كتب الإمام الشهيد بإطلاق، أو على الأقل آخر ما كتب من الرسائل - رسالته التي وجهها إلى الإخوان جميعاً بصفتهم لا بأسمائهم - وهي رسالة تتدفق بشعور الأب الذي ابتعد عن الدنيا، واقترب من الرفيق الأعلى، فعانقته أيام الاحتضار أو ساعاته، ولكن لم تأخذه سكرة أو ذهول، بل غمرته موجات من الإيمان والثقة والطمأنينة،

(١) نشرتها مجلة النذير في ٨ من المحرم ١٣٥٨هـ، ولم ترد في مذكرات الإمام أو رسائله. وقد نشرها عبد المتعال الجبري في كتابه: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا: ٦٩ - ٧٠، دار الاعتصام، القاهرة، ط(٢)، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٢) انظر: محمود عبد الحلیم: الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ: ٣٧٧/١ - ٣٧٩.

ففاضت مشاعر الأبوة الحانية التي تجيش في نفسه بالتعبير عن حبه وتقديره لهم، وثقته في عزيمتهم وقدرتهم، فهو لا يحدثهم - وهم جميعاً أبنائه - إلا بالإخوة الفضلاء:

"أيها الإخوة الفضلاء: أتقدم إليكم جميعاً مهناً بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجراه الله على أيديكم من خير، وما اختصكم به من ثبات على كلمة الحق..".

".. فاذكروا أيها الإخوان أنكم الكتيبة المؤمنة التي انتهت إليها في هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالاته..".

إنها وصية مودع؛ لذا جاءت زاخرة بأنبل التوجيهات:

".. فإن عليكم أنتم... أن تتداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات.. ومهزوم من يحارب الله ويغالب القدر..".

".. أصلحوا سرائركم، أحسنوا أعمالكم، استقيموا على أمر الله.. استعدوا للبذل والاحتمال والجهاد بالنفس والمال.. اعملوا لوجه الله مخلصين له الدين..".

ويختم وصيته بأن يجعل الإخوان شعارهم النظافة:

"النظافة في الضمير والتفكير، وفي اللسان، وفي السير، وفي الثوب، وفي البدن، وفي المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والمسلك، والقول والعمل، وإن مما أوصى به الرسول (عليه الصلاة والسلام) أمته: "تظفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم"^(١).

ونخلص مما عرضنا من مشاعر الإمام في رسائله حتى وهي في حالة التوهج:

١- أنها لم يكن وراءها - رضاً وغبناً - مثيرٌ شخصي أو مصلحة خاصة، بل

كان الرضا والغضب والحب والبغض لله والأمة والوطن ومصلحة الدعوة.

(١) انظر الرسالة بتمامها في كتاب عبد المتعال الجبري السابق: ٢١٣ - ٢١٦. وقد ذكر المؤلف أنه نقلها من صحيفة "المباحث" الأسبوعية الصادرة في الثامن ربيع الآخر، سنة ١٣٧٠هـ/ الموافق ١٦ يناير ١٩٥١م. وكانت "المباحث" هي الصحيفة الناطقة باسم الإخوان آنذاك، وكان يرأس تحريرها صالح عشاوي - رحمه الله -.

٢- أنها - في أية حال من الحالات - لم تدفع الإمام البنا إلى قول الفحش والبذاء، فتعفف لسانه عن مجازاة أعدائه وأعداء دعوته في طريقتهم الفاحشة في حملاتهم، وخصوصاً صحيفة (صوت الأمة) لسان حال الوفد.

٣- أنها لم تُفقد الإمام أثارة من وقاره العقلي، وقدرته على مناقشة الأمور، وإقناع الآخرين. فكثيراً ما كان يخاطب في الآخرين عقولهم وعواطفهم حرصاً على الإقناع والاستمالة، وكثيراً ما يتلبس الفكر بالعاطفة، فيأتي الكلام مخاطباً العقل والشعور في آن واحد، ويتحقق الهدف من الرسالة إذا تنوعت العبارات ما بين خبر وإنشاء وحقيقة ومجاز، وهذا الامتزاج يخفف - ولا شك - من جفاف الحقائق المسوقة، كما يجعل الشعور أكثر انضباطاً، كما ترى في العبارات التالية من رسالة الإمام البنا إلى النحاس باشا بعد أن أبدى إعجابه المفرد - في تصريح له - بمصطفى كمال أتاتورك:

"..ولقد أخذ الكثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا - وهو الزعيم المسلم الرشيد - يوافق على أن يكون لأمته بعد الانتهاء من القضية السياسية - برنامج كالبرنامج الكمالي يتولى كل الأوضاع فيها، ويفصلها عن الشرق والشرقيين، ويسقط من يدها لواء الزعامة؟
وإننا نعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذي نعتقد أنه أبعد الناس عنه"^(١).

â â â

(١) انظر مذكرات الدعوة الداعية: ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

كلمة أخيرة

وبعد هذه المسيرة مع أدبيات الإمام الشهيد: أجناسها، ومفهومها، وأبعادها الموضوعية، ومنهج عرضها ومعالجتها، وعلاقتها بالتوجهات الدعوية والتربوية للإمام الشهيد، ثم طوابعها وسماتها الفنية والجمالية - بعد هذه المسيرة لا أزعج أنني قد وفيت الموضوع حقه، فلم أترك زيادة لمستزيد، ولكن يكفي أن أقول: إنني فتحت الباب للباحثين، وطلاب الدراسات العليا، أن يعطوا هذا الجانب من إعطيات الإمام الشهيد اهتماماً وافياً بأن يكون موضوعاً - بل موضوعات - للأطروحات الجامعية، من ماجستير ودكتوراه.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الإمام الشهيد لو تفرغ للأدب بمفهومه الاصطلاحي لكان واحداً من عمالقة الأدب والنقد في العربية، ولكن من فضل الله على الإسلام والمسلمين أنه لم يحقق للإمام الشهيد هذا التفرغ.

وإذا كان الأفغاني قد أدى دوره في الإيقاظ العام لمشاعر الأمة لمقاومة الاستعمار. وأدى الإمام محمد عبده دوره في إيقاظ عقل الأمة، ومقاومة الجمود الفكري فيها، وقام العلامة رشيد رضا بعدهما بدور كبير غير منكور في التجديد والتأصيل الشرعي لمسيرة الإصلاح، فإن الأمة - كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي - كانت تفتقر إلى جيل جديد من ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٢٩)... جيل يحسن فهم الإسلام، ويؤمن به، ويعمل به، ويدعو له، ويجاهد في سبيله، ويعمل على صبغ الحياة العامة بصبغته ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٢٨).

ولا يقدر على تربية هذا الجيل، وإعداده للمهمة الجليلة المنوطة به إلا رجل رباني، نذر نفسه وفكره وجهده وحياته لله رب العالمين، وكان الرجل المنتظر هو حسن البنا، الذي اصطفته العناية الإلهية ليكون للمنتقين إماماً.

وأراني مدفوعاً في ختام هذا البحث أن أقدم بعض الأبيات الشعرية من قصيدة طويلة نظمته بمناسبة مضيّ مئة عام على ميلاد الإمام الشهيد عنوانها "رسالة إلى الإمام الشهيد حسن البنا":

.....
فَرَأَيْتَكَ يَا إِمَامِي شَمُوحًا مشرق الوجه من وراء الزمان
ترفع الراية الطموحَ عَلَيْهَا مصحفُ الحق حوله سَيْفَانِ
فكتابُ السماء يسري ضياءً في حمى قوة من الـديانِ
مـرقرنٌ من الزمان تجلت فيه - يا سيدي - جليلُ المعاني
كل أيامه انتصار عظيمٌ مثل بدرٍ يوم التقى الجمعانِ
وتربى على يديك شبابٌ وشيوخٌ في عزيمة الشبانِ
كلهم في النهار فرسانٌ حقٌّ ومع الليل مثلما الرهبانِ
فيفيض المحرابُ نوراً وتقوى إذ يخرون فيه للأدقانِ



كنت في الفيلق الهـُـصورِ إماماً إذ تقود الإخوان كالربانِ
تمخُرُ الصخرَ في يقينٍ وعزمٍ واعتدادٍ بقوة الإيمانِ
لا تهابُ الإعصارَ فالحقُّ أقوى من جيوش الطغاة والطغيانِ
من صدى الزحفِ قد صحا المشرقانِ فاستجابا وزلزل المغريانِ

â â â

المصادر والمراجع

الكتب

١. ابن هشام: السيرة النبوية، مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
٢. أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، القاهرة، ١٩٥٢م.
٣. إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية.
٤. أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٨٨م.
٥. أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م.
٦. الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
٧. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
٨. البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
٩. جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.
١٠. جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١١. جابر قميحة: الإمام الشهيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٢. الجاحظ: البيان والتبيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.
١٣. جمعة أمين عبد العزيز: التفسير، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٤. جمعة أمين عبد العزيز: العقيدة والحديث، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
١٥. جمعة أمين عبد العزيز: الفقه والفتوى، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٦. جمعة أمين عبد العزيز: المناسبات الدينية ومقالات متنوعة، دار الدعوة، الإسلامية، الطبعة الأولى.
١٧. جمعة أمين عبد العزيز: خواطر من وحي القرآن، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٨. جمعة أمين عبد العزيز: عضات وأحاديث منبرية، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
١٩. حسن البنا: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٠ - ١٩٨٩م.
٢٠. حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢١. حسن البنا: نظرات في كتاب الله للإمام الشهيد حسن البنا، جمعه وعلق عليه وحققه: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٢. حسين فوزي النجار: التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٣. الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، المطبعة المييرية، القاهرة، ١٣٦٩م.
٢٤. رفيق حبيب: الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
٢٥. روبير جاكسون: حسن البنا الرجل القرآني، ترجمة: أنور الجندي، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢٦. ريتشارد ب. ميتشل: الإخوان المسلمون، ترجمة الدكتور محمود أبو السعود، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢٧. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.
٢٨. سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧م.
٢٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦م.
٣٠. شوقي ضيف: الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
٣١. صلاح فضل: علم الأسلوب، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الثالثة، إبريل ١٩٨٨م.
٣٢. عباس السيسى: في قافلة الإخوان المسلمين، دار الطباعة والنشر والصوتيات، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٣. عبد المتعال الجبري: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣٤. عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٣٥. عمر التلمساني: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل، دار النصر للطباعة، القاهرة، دت.
٣٦. عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.
٣٧. فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٣٨. كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، مكتبة المنار، الأردن، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٩. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م.
٤٠. مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م.
٤١. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٤٢. محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
٤٣. محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثالثة.
٤٤. محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي: الشامل، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
٤٥. محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، مكتبة وهبة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٤٦. محمد لبيب البوهي: الإيمان والرجل، دار الطباعة المصرية الحديثة، د.ت.
٤٧. محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٤٨. محمود عبد الحلیم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
٤٩. المرزباني: الموشح، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.
٥٠. مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٥١. المقرئزي: إمتاع الأسماع، القاهرة، ١٩٤١م.
٥٢. يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
٥٣. يوسف الشاروني: كتاب الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه، مجلة العربي الكويتية، مارس، ١٩٦٠م.

الصحف والمجلات

٥٤. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١)، السنة الأولى، ٢١ من صفر ١٣٥٢ - ١٥ يونيو ١٩٣٣م.
٥٥. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢)، السنة الأولى، ٢٨ صفر ١٣٥٢ - ٢٢ يونيو ١٩٣٣م.
٥٦. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الأولى، ٢٧ من ربيع الأول ١٣٥٢هـ - ٣٠ من يوليو ١٩٣٣م.

٥٧. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢ - ١٠ من أغسطس ١٩٣٣م.
٥٨. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٥)، السنة الأولى، غرة جمادي الآخرة، ١٣٥٢ - ٢١ من سبتمبر ١٩٣٣م.
٥٩. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣١)، السنة الأولى، ٢٢ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ - ٨ من مارس ١٩٣٤م.
٦٠. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١)، السنة الثانية، ١٩ محرم ١٣٥٣ هـ - ٤ من مايو ١٩٣٤م.
٦١. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢)، السنة الثانية، ٢٦ من المحرم ١٣٥٣ هـ - ١١ من مايو ١٩٣٤م.
٦٢. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ.
٦٣. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٦)، السنة الثانية، ١٣ جمادي الأولى ١٣٥٣ - ٢٤ من أغسطس ١٩٣٤م.
٦٤. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢١)، ١٨ جمادي الآخرة ١٣٥٣.
٦٥. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣)، السنة الثالثة، ٢٧ من المحرم ١٣٥٤ - ٣٠ إبريل ١٩٣٥م.
٦٦. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الثالثة، ٨ من صفر ١٣٥٤ - ٢١ من مايو ١٩٣٥م.
٦٧. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٥)، السنة الرابعة، ٢١ من صفر ١٣٥٥ هـ - ١٢ من مايو ١٩٣٦م.

٦٨. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، السنة الرابعة، ٢٥ من ربيع الآخر ١٣٥٥هـ - ١٤ من يوليو ١٩٣٨م.
٦٩. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الخامسة، ١٦ من ربيع الآخر ١٣٥٦هـ.
٧٠. مجلة النذير، العدد (١)، السنة الأولى، ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧هـ - ٣٠ من مايو ١٩٣٨م.
٧١. مجلة النذير ٨ من المحرم ١٣٥٨م.
٧٢. مجلة المنار، العدد (٧)، المجلد (٣٥)، ربيع الأول ١٣٥٩هـ - إبريل ١٩٤٠م.
٧٣. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية - العدد (١٧٠)، السنة الخامسة، ١٢ من ذي القعدة ١٣٦٦هـ - ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٧م.
٧٤. جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٨٤)، السنة السادسة، ٢٠ من ربيع الأول ١٣٦٧هـ - ٣١ يناير ١٩٤٨م.
٧٥. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٤)، السنة الأولى، ١٦ من جمادي الآخرة ١٣٦٥هـ - ١٧ من مايو ١٩٤٦م.
٧٦. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٤)، السنة الأولى، ٣٠ من جمادي الآخرة ١٣٥هـ - ٣١ من مايو ١٩٤٦م.
٧٧. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٧١)، السنة الأولى، ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٦٦هـ - ٢١ من مارس ١٩٤٧م.
٧٨. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٧)، السنة الثانية، ٨ من المحرم ١٣٦٧هـ - ٢١ من نوفمبر ١٩٤٧م.

٧٩. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦٠٩)، السنة (٢)، ١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ - ٢٣ من إبريل ١٩٤٨م.

٨٠. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦٠٩)، السنة الثانية، ١٤ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ - ٢٣ من إبريل ١٩٤٨م.

٨١. جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦١٥)، السنة الثانية، ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ - ٣٠ من إبريل ١٩٤٨م.

٨٢. مجلة الدعوة، العدد الأول، الثلاثاء ٢٢ من ربيع الآخر ١٣٧٠ - ٣٠ يناير ١٩٥١م.

٨٣. مجلة المجتمع، العدد (١٢١٦).

âââ